محمد أبو أحمد

ABU ABDO ALBAGL

قصاصة ورق

من داخل السجون السورية

e-kutub.com

Digitized by Google

قصاصة ورق

من داخل السجون السورية

محمد أبو أحمد

قصاصة ورق

من داخل السجون السورية

محمد أبو أحمد

Digitized by Google

Digitized by Google

قصاصة ورق

من داخل السجون السورية

محمد أبو أحمد

إصدارات إي-كتب
لندن، شباط-فبراير

Digitized by Google

Piece of paper from inside Syrian prisons
Authored by: Mohamad Abo Ahmad
Copyright: The author
Published by: **E-Kutub.com**
(Distribution: **Amazon**, **Google Books**, **Play Store & e-kutub.com**)
ISBN: **9781780582375**
* * * * *

الطبعة الأولى، لندن، شباط 2017
المؤلف: **محمد أبو أحمد**
الناشر: **E-kutub Ltd**، شركة بريطانية مسجلة في انجلترا برقم: 7513024
موزعون: **أمازون، غوغل بوكس، بلاي ستور، إي-كتب.**
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف.
لا تجوز إعادة طباعة أي جزء من هذا الكتاب إلكترونيا أو على ورق. كما لا يجوز الاقتباس من دون الإشارة الى المصدر.
أي محاولة للنسخ أو إعادة النشر تعرض صاحبها الى المسؤولية القانونية.
إذا عثرت على نسخة عبر أي وسيلة أخرى غير موقع الناشر (إي- كتب) أو غوغل بوكس، أو بلاي ستور، أو أمازون، نرجو اشعارنا بوجود نسخة غير مشروعة بالكتابة الينا:
ekutub.info@gmail.com
يمكنك الكتابة الى المؤلف على العنوان التالي:
alshhed.alhy@gmail.com

Digitized by Google

إهداء

هذا العمل هديتي الصّغيرة المُتواضعة الخجولة للثَّوْرة السّوريَّة

لثوْرة الكرامة والْحريَّة،

إلِى بلدِي الحبيب سوريّا

إلى كلّ الْإنسانيَّة للْوقوف صفاً واحداً للمطالبة بالإفراج عن الْمعْتقلين والمعْتقَلات

إلى كلّ الْإنسانيَّة لمساعدة الناجين من عنف الاعتقال للْخروج من سجنهم الأبدي

Digitized by Google

Digitized by Google

بسِم الله الرَّحمن الرَّحيم

(مَن قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعاً وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعاً) المائدة: 32

في ظلّ هذه الأَحداث الَّتي تمر بها سوريَّة بات الشَّعب السّوري مقسّما إلى أَربع فئات

الفئة الأولى: الَّذين سقطوا شهداء على أرض سوريَّة الحبيبة.

الفئَة الثَّانية: هي الفئة الَّتي نزحت من ديّارها وأَرغمت على الْخروج منها.

الفئَة الثالثة: هي الفئة الَّتي تأْبي أَنّ تفارق أرض الْوطن رغم كلّ الظُّروف الصَّعبة والحصار.

وأَمّا الفئة الرابعة: فهي الْفئة الَّتي استطاعت يد الْغدر الوصول إليها واعتقالها وهي الأهم لمّا يمارس عليها من ظلم وقهر واستبعاد واستعباد في أَقبية النّظام، وهنا محور الحدث حيث يتحدّث هذا الْكتاب عن قصّتي داخل السّجون السّورِية ويفصل جزء صغير من الْمعاناة وأَساليب التَّعذيب الْجسديّة والنَّفسية الَّتي لم ولن تحْدث في تاريخ الْبشرِيّة وسيخصِّص الجزء الأكبر من ريع هذا الْكتاب لمساعدة وعلاج الناجين من عنف الاعتقال للتخلص من الأثار الصحية والنفسية والاجتماعية.

ولله الْحمد، فهناك الآن ترجمة لهذا الكتاب باللغة الفرنسية.

Digitized by Google

Digitized by Google

زهْرة شبابنا الَّتي لمْ تكتمل بعد، أحلامُنَا وذكْرياتُنَا سُلبَتْ، هَرَّمنا في ريعان الشَّباب، بين ليلَةٍ وضَّحاها انقلبت حياتنا رأْساً على عقب.

كُنت كآلاف الشَّباب أَحلم بمسْتقبلٍ زاهرٍ ووطن أَمنْ، أسير خطوةً تلو الأخرى لتحقيق أحْلامِي، أذهب إلْى جامعتي مفعما بالحبّ والحياة وزادت الْحياة جمالًا وروعةً عنْدما بدأْت تهْتف الأبطال وتنَادي بالْحريَّات.

تصْدح الحناجر بأجمل الْأغاني للحريَّة والحياة كأَننا في عرْس حقِيقي، كانت أَيَّاماً رائعةً جداً لم أشعر ولَن أَشعر بمثْلها ما حييت.

فجأَة وفي أيام معدودات تقف الْحياة وتمتلئ الشّوارع بالدِّماء والْمدرَّعات.

أحدث نفْسي هل بدأْت نهاية الحياة؟ هل يجب أَن أُتابع درَّاستي؟ وما فائدة الدِّراسة وتحقيق الْأحلام إِذا توقفت الحياة؟

يجب أَن أُتابع درَّاستي وأَحصل على شهاَدة التَّخرج فقد أَمضيت ستَّين طويلة أَنْتظر تحْقيق هذا الحلْم. قرِّرت متابعة درَّاستي الجامعيَّة وذهبت لتقديم امتحانات السَّنة الدِّراسية الأَخيرة وعند خروجي من قاعة الامتحانات وجدت رجَّال الأَمن عند الباب.

تقدَّم أحدهم قائلاً: (أنت مطلوب للفرع لا تخاف سؤال وجواب، تعاون معنا، لا تلفت انتباه الناس، وإلا سيكون لنا تصرف آخر)

لمْ أنطق بحرف واحد، قدماي لم تعد تحملانِّي من شدّة الخوف، يكاد قلبي يتمزَّق، تراودنَّي أفكار كثيرة عن الموت والحياة.

Digitized by Google

أَمسك أحدُّهم بيدي. توجَّهنا نحو سيَّارَة الأَمن الَّتي كانت بانتظارنا داخل الْحرم الْجامعيّ.

تساؤلات كثيرة تدور في ذهني...؟

هل سأعود إلى بيتي...؟

كيف سأخبر أُمَّي الَّتي تنتظر عوِّدتي إلْى المنزل...؟

ماذا سيفعلون بي...؟

طال الطّريق كثيرا مع أَنّ المسافة لَم تكن بعيدة.

وصلنا إلى الفرع، طلبوا منْي أَنّ أسلم أَوراقي وكلّ ما في حوزتي، وطلب منْي أحدّ العناصر أَن أتبعه حتَّى وصلنا إلى باب حديديّ كبير. فتح الباب منادياً (يا سخرة، تعال خود الارهابي الأنيق زتو بشي منفردة).

و"السخرة" هو سجين أيضا ولكنَّه موقوف بجرم آخر كالمخدِّرات أَو التَّهريب، يعتمد عليه السجَّان ليكون عيناً له داخل الزِّنزانات وهو المسؤول عن تنظيم السّجناء داخل المنفردات وتوزيع الطَّعام، وعادةً ما يكون مجرما أكثَر من ضبَّاط المخابرات.

طلب منْي السخرة أَن أَتبعه. فتح باب الْمنفردة ودفعني دفعةً قويَّةً وأُغلق الباب. المكان مظلم جداً لا أَستطيع أَنّ أَرى شيئاً وكأنَّي قد فقدت بصري، أَشتمّ رائحةً غريبةً جداً رائحة دماء وتعرق اِمتزجت مع رائحة الموْت والْخوَّف والألم، أَصوات أَنينّ وبكاء. درجة الحرارة تفوق الخمسيْن، عمليَّة التَّنفس أَمرٌ شبه مسْتحيل.

Digitized by Google

وضع أحدهم يده على كَتفي قائِلاً: (لا تخاف ووُكِّل أَمرك إلى الله)

وبعْد دقائِق معْدودة يفتَح علينا الْباب لِإدخال الطَّعَام، ومع دخول الضَّوْء أُدْركت الْمكان (غرفَة بطول متْرين ونصف وعرْض متْر واحد تقْريباً) فيها اثنا عشر شخْصاً، سبْعةٌ منْهم جالسون بصعوبة بالغة جداً وخمسة واقفون.

وجْبة الْغداء للْجميعِ مكوّنة منْ أَربع حبَّات من الْبطاطا المسْلوقة وأَربعةُ أَرْغفَةٍ منَ الْخبْز الْيابس.

دقَّاتُ قلْبي تَتَسارع أَكثر فَأَكْثر، لا أستطيع الْتقاط أَنْفاسي، العرقُ يتصبَّب منِّي مِنْ شِدَّة الْخوْفِ وَالْحرّ. خَوْفٌ وَفزعٌ وَهلع. كيْف ستكون البداية...؟ وهل هناك نهاية...؟ تمر الدَّقائق كأنَّها ساعات، أحاولُ أَنْ أكلِّم أحداً لكِنْ لَا تخْرج منْ فمي الْكلماتِ، لَا أَدري كمْ ساعةً بقيت على هذا الْحال، ولا أَدري كيْف غلبني النُّعاس وارتميت فوْقهمْ.

استيقظت وأَنا أَشعْر بشيْءٍ يسيلُ على رأْسي وأَحد الْمعْتقلين يصْرخُ ويشْتم. وما هي إلّا لحْظاتٍ حتّى فتحَ بابُ الْمنفردة ومع دخولِ الضَّوءِ رأَيت شاباً يقِف في آخر الْمنفردة وقدْ تبولَ علينا ومازالَ يصْرخُ ويشتمُّ لقدْ أُصيب بِحالَةٍ من الْجنون.

أُخْرجهُ السُّخرة وبدأ بضربه. الْبكاء يعمُّ الْمكان. الكَلُّ يتوسَّل إِلى اللهِ همْسًا بقلْبٍ ذَليلٍ وخائِفٍ.

Digitized by Google

بعْد ما يقارب أَربَع ساعات ينادِي السخرَة بإسمي، طلبَ منْي أَنْ أَخْلع ملابسي وأُبْقي فقطُّ ما يستر عورتي. وضْع الْعصبة على عيْني وقيد يديّ إلْى الْخلف.

قرع الباب الرئيسي للزنزانة قائلاً: (سيدي هذا جاهز، استلم)

فتح السجان الباب قائلاً: (أتبع صوتي أيها العميل، أنت مطلوب للتحقيق ويمكن ما ترجع).

أَتبعْت صوْته يوجّهني يسرةً ويمنةً، وصلنَا غرفةَ التَّحقيق أَسْتقْبلنِي الْمحقّق بصفْعةٍ قويةٍ على وجْهي كادت تردِّيني أرْضًا قائلًا: (كنت مفكرك رجال طول بعرض لما شفت التقرير المكتوب عنك، سماع ولا ابن الشرموطة، من أول الطريق بدك تعترف بكل شيء أو بخليك طول عمرك بالمنفردة لحتى تموت، بعدين مو عيب عليك يا عرصة تخون الوطن، لا تخليني أستخدم العنف معك، هات حكيلنا كيف كنت تهرب سلاح للعصابات المسلحة).

أَجبْته بصوْتٍ مرْتعشٍ خوْفًا منْ بطْشه: سيِّدي ربَّما هناك خطأٍ ما.

أجاب بصوتٍ مرتفع (خطأ يا ابن القحبة، عامل حالك فهمان، طيب بلا تهريب السلاح، حكيلي على كم حاجز أطلقت النار أنت ومجموعتك، وكم عسكري في برقبتك).

لَا أدرَّي ماذا أُجِيب. وهنا كانتْ الصَّدمة الكبرى فأَنا لا أَجيدْ استخدام السِّلاح أَصْلًا.

Digitized by Google

دقَّات قلْبي تتسَارع، قدماي ترْتجفانِ، أَحسُّ بالدُّوار، أَتصبّب عرْقا أَلْتقطُ أَنْفاسي بصعوبةٍ بالغةٍ جداً صرخ الْمحقّق: (ليش ساكت يا ابن الزانية، ما بدك تعترف الظاهر أنو المسايرة ما رح تجيب نتيجة معك)

صرخَ الْمحقَّق لِأَحد الْعناصر: (يا أبوعلي تعال زبطلنا وضعوا للمثقف)

ركض أَبو علي نحْوي بسرْعة الْبرْق كالأَسد الَّذي ينْقضُ على فريسته، ركلاتٌ ولكْماتٍ وصفعاتٍ بقوةٍ كبيرةٍ، ارتميت أَرضاً وتابع مهمَّته أحاولُ أَنْ أُغطِّي رأْسي لكنَّي لا أَستطيع، وضْع حذاءه على رأْسي قائلًا: (شوف يا أخو الشرموطة، هي استفتاحية ولسا ما بلش الجد، لا تعذبنا بعدين بحرمك رجولتك، فهمت عليّ، قوم وقف يا حيوان).

الْمحقَّق: (لا تحاول تنكر لدينا أدلة أنك مسلح وأرهابي)

أَرجوك يا سيِّدي أَنا لا أَجيدْ استخدام السِّلاح وأَنا ملْتزمٌ بجامعتي تسْتطيع التَّأَكُّد منْ جامعتي وزملائي في الْجامعة.

طلب الْمحقِّق منْ أَبو علي أَن يعيدني إلى الْمنفردة قائلًا: (رح أعطيك وقت تفكر هدا آخر إنذار)

دَخلْت إلى الْمنفرِدة. وقْف جميع الشَّباب وطلبوا منْي أَنْ أَتمدَّد لأَرْتاح قليلًا.

هَمس أحدهمْ أَخبرنا عن التَّحقيق، أخبرتهم بما حدث وأن المحقق طلب مني التفكير، أرشدوني ماذا أفعل.

Digitized by Google

أجاب أحدهم وهو يأن من الألم: (يا أخي ما راح يتركك لحتى تعترف متل ما بدو، أنا حاولت قاوم وأخر المشوار كسرو ثلاث أصابع في يدي وأنخلع كتفي، وأنت صاحب القرار).

أَرجوكمْ أُريد الذَّهاب إِلى الخلاء مثانتي تكَاد تنْفجر.

أجاب أحدهم: (ما بتقدير تروح هلق للحمام للمسا دور منفردتنا للذهاب للحمام ومبارح ما طلعونا أبداً، بحقلك تفوت الحمام لمدة عشر ثواني بس وإذا ما طلعت قبل عشر ثواني بتكون فتحت على حالك باب من أبواب جهنم. السخرة هو المسؤول عن هذا الموضوع ومعو صلاحيات يعمل يلي بدو ياه يعني إذا متت بين أيده ما حدا راح يسألوا ليش).

لمْ تمض ساعةٌ حتَّى فتح باب الْمنفردة وطلب مني السُّخرة الْعوْدة إلى التَّحقيق.

استقبلني المحقق بركلةٍ قويةٍ على ظهري أردتني أرضاً على وجهي أحسستُ أن أنفي قد كسر ألمٌ شديد والدماء تسيل من فمي.

صرخ قائلاً: (خلصت تفكير، تفضل يا أبن الشرموطة، حكيلي عن بطولاتك).

أَصوات أَقْدام تَتَّجه نحْوي أَمسْكني شخصٌ من خلفي بإحكام وبدأ شخصٌ آخر يضربني بكلِّ ما لديه منْ قوَّةٍ. كان قويُّ البِنية، ضرباته كانتْ قاتلة، لمْ أَستطعْ أَنْ أَتألَّم بصمْت. صرخْت من الألم. أمسّك بي منْ شعْري ورماني أرضاً. أَلْتصق فمي بالْأرض، وضْع حذاءه على رأْسي قائلاً: (ما بدي أسمع صوتك يا حيوان، عامل حالك بطل).

Digitized by Google

وتابع مهمَّته مع عباراتٍ وشتائم لمْ أَسْمع لها في حيَّاتي مثيلا، والله أَستحيّ أَنْ أَذكرها بيْني وبيْن نفْسي. هذا ما كان يقتلنِي وكأَنّ عناصر الأمن في بلدي قدْ تدرَّبوا علَى التَّعذيب النَّفسي جيداً فهو يعلمُ أَنَّ كلّ كلمةٍ يقولها عنْ شرفي وأَهليّ تقْتلنِّي تجْبرنِّي على الاعتراف كما يريد حتَّى أَذهب ولا أَسمع هذه الشّتّائم.

ألمٌ شديدٌ في كلّ أَنحاء جسديٍّ، قلْبي يتمزَّق على شرفي ودموعي تسيل وأَبكي بصمْت.

صرخ من كان يضربني قائلاً: (رح أتركك هلق والأفضل إلك أنو ما أرجع لهون مرة تانية).

عم الهدوء المرعب في المكان.

أَسمع أَصْوات أَقدام تَتَّجه نحْوي. تبْتعد عني.. تدور في أَرجاء الغرفة.

ليتني أُستطيع أَنْ أَصرخ لأُخفِّفَ مِنْ آلمي..

أَيْن أَنْت يا أَبي، يا سند ظهْري...

أُحاول أَنَّ أَقرأَ الْقرْآن لكنّني غيْر قادر على التَّركيز، دقائق تمر كأَنَّها سنوات. مضى ما يقارب ثلاث ساعات، قدماي تخدرت لكنِّي أَخاف أَنْ أَجلس.

فجأةً صرخ المحقق قائلاً: (لسا ما نويت تعترف، طيب شو رأيك نجيب أبوك وأمك لعنا زيارة وتموت أنت وياهون بنفس المنفردة، أحسن ما تموت لحالك).

Digitized by Google

لا أدري كيف أجبت بصوتٍ مرتفع: لا يا سيِّدي أرجوك سأعترف بما تريد.

أجاب ساخراً: (يا ندل أنا ماني عم أتبلا عليك، بدك تعترف بكل شي مكتوب عنك بالتقرير).

بدأْت أَسرد قصصا محاولاً أقناع المحقِّق. للهِ الْحمد أقتنع بها ولم أَعترف بأشياء كثيرة.

أسمع أَصوات أَوراق واهتزاز الطَّاولة الْحديديَّة أُحادث نفْسي ماذا يكْتب الْمحقّق؟

هل سينتهي التَّحقيق؟

وهل ستنتهي هذه الْمعاناة؟

بعد أَنّ مضى ما يقارب السَّاعة والنصْف والمحقق يكتب أَقترب مني الْمحقِّق أمسّكَ إبهامي وشدَّني بقوَّة.

قائلاً: (أبصم على أقوالك أيها العميل)

صرخ لأَحد العناصر أَمسّك بي منْ شعْري وبدأَ يجْرني كما تجْر النعاج. منْ شدَّة الْألم لمْ أَعدْ أَحسّ بالآلم.

الحمد للّه انْتهى التَّحقيق ولمْ أعترف بشيءٍ كبير.

أعادني السخرة إلى الْمنفردة، أَفسح لي الشَّباب مكاناً لأَجلس، وبدأَ أحدهم يدلك جسدي محاولاٍ أَنْ يخفِّف من ألمي. مثانتي كادتْ تنْفجر وقدْ أَخرجوا منفردتنا إِلى الْخلاء أَثناء غيابيِّ، لَكنِّي وللّه الْحمد أحْسسْت بقليلٍ من الأمان لأَنِّي أُنهيت التَّحقيق.

Digitized by Google

لا أَدرَّي كيف تغلب النُّعاس على الألم، استيقظت بعد ما يقارب ساعتين منْ شدّة الألم وضيق المكان وقدْ تبوَّلت على نفسي، وقفْت لأَفسح مجالاً لغيري كي يجلس، بكيت وبكيت. حتِّي جفَّ دمعي.

بدأ القلق يصارع الْألم يشْغل فكري ماذا يفْعل والدي؟

هل أَصاب أحدٌ منْ عائلتي مكروه؟

أين يبحثونَ عني؟

للَّه الحمد، لمْ أعترفْ بشيءٍ كبير سيكون خروجي قريبا وأَعود لأَرتمي في أَحضان والدتي (هكذا كنْت أَظنّ).

يقتحمني اليأْس... هلْ سأخرج منْ هنَّا على قيْد الحياة؟

وهلْ هناك حياةٌ وأَناسٌ في الْخارج أَمْ كلْهم داخل السّجون؟

مع هدوء اللَّيل تأْتي أَصْوات بعيدة لأَطْفال تبْكي ونساء تصْرخ وتسْتغيث، يتمتم أَحدُّهمْ قائلاً: (يا رب أَنْتقم من الظّالمين بلش دور النِّسوان، يا رب فرجك يا رب فرجك)

هذه الْأَصْوات حقيقيَّةٌ إِذا...!

يا للْعار... أَيْن الشَّهامة...؟ أَيْن الرُّجولة...؟

لمْ يكنْ بمقْدوري إلّا أَنْ أَدّعو الله ليخفِّف عنْهنَّ.. أَصْوات عالية تأْتي منْ أَحْدى الْمنْفردات، أَسمع صراخ السخرة قائلًا: (مين ابْن هالمنتاكة اللَّي عم يصرخ)

يجيب أحدهمْ: (يا سيدي الحقنا الله يخليك، عنا خمس شباب عم يموتوا، مشأن الله فتخلّنا الباب خلين يتنفسوا).

Digitized by Google

السخرة: (مشان هيك عم تصرخ، أي يموتوا بالناقص من كام مندس، ما بدي أسمع صوتك أحسن ما خليك عبرة لمن يعتبر)

لم تمض ساعةً حتَّى عاد الصراخ: (يا سيدي هدول ماتوا)

السخرة: (يا جحش ما قلتلك ما بدي أسمع صوتك)

ردَّ بنفس العبارة: (يا سيدي هدول ماتوا)

السخرة: (شو عم تقول، يلعن شرفكن هلق ماتوا هدول، هلق بيكون المساعد نايم، الله يلعنكن ما بتخلص مشاكلكن. لا أنتو عايشين ولا أنتو ميتين)

عم البكاء في منفردتنا، توفي خمسة أشخاص وكأن شيئا لم يكن، لا أستطيع أن أصف حالتي في تلك اللحظات. خوف وذعر ورعب ونار تشتعل في صدري.

أَيْن نحن...؟

هلْ هذه قيمة الأنسان في بلدي...؟

أَيْن أَبسط حقوق الأنسان...؟

في أَيّ العصور نحْن...؟

أليْس لهؤلاء الشّهداء أَهلّ وأطْفال وأصدقاء ينْتظرونهم...؟

ما هو الجرم الذي اقترفوه...؟

ومتِّى سيأْتي دوري وأَموت اختناقا في هذه الْمنفردة...؟

الموت في كلُّ مكان ونحْن الْموتى كنَّا قبل أيَّام نعيش مع أَحبّائِنَا.

وفي الصَّباح فتح باب الْمُنفردة ورميت وجْبة الإفْطار (خمسة أَرْغفةٍ من الخبز الْيابس وبضْع حبَّاتٌ من الزَّيْتون للْجميع).

Digitized by Google

طلب أحدُ السّجناء من السخرة أَن يحْضر لنا الماء، فأَجَاب ساخراً (حلو أخذ راحتك، المسا بس تطلع على الحمام بتشرب.)

حاول التذلل للسخرة ليحضر له الماء.

السخرة: (أنت ما بتفهم يعني، تكرم عينك، راح جبلك، راح عبيلك بالقنينة يلي بالحمام يا مؤدب)

ذهبَ السخرة وأَحْضر الماء بقارورةِ الخلاء، عندما رأيت الْماء أزداد عطشي فأَنا لمْ أَشربْ منذ دُخلْت المعتقل، أَمْسَكْت بها وشربت.

بدأْت تعْلو أَصوات التَّعذيب وصرخاتُ التَّوسل، يزداد خوفي وفزعي مع هذه الْأَصوات، أَتمّني أَنْ أَكون مكانهمْ لأنَّ الآلم الَّذي يعيِّشه منْ يسمع الصَّرخات، أقْسَى وأشد بآلاف الْمرَّات من التَّعذيب الْجسديِّ.

فُتح باب المنفردة وطلب رجلٌ في العقد الرابع من العمر للتَّحقيق، خرج وهو يردِّد (يا رب دخيلك كل شي إلا الشبح)

سألت أحدهم: ما هو الشبح.

أجاب وهو يبْكي: (تلمِّس معْصمي وستعْلم ما هو الشَّبح)

مددْت يدي على مِعْصمه فوجدت حفرة في معصمه. سحْب يده بسرعة البرْق فَقَد تسبَّبت له بالألم.

تابع حديثه: (الشبح هو الموت، أنت بتكون مقيد بالكلبشات الحديدية وايديك ورا ظهرك، بعلقك من الكلبشات بجنزير ويرفعوا جسمك لفوق لحتى يظل طرف أصابع رجلك على الأرض، أول دقيقة بتحس كتفك أنخلع وجع لا يوصف، تاني دقيقة بتحس ايديك

Digitized by Google

راح يتقطعوا لأن كل ثقل جسمك صار على ايديك، وبتبلش الكلبشات تحفر بالمعصم نتيجة الضغط. مستحيل تتحمل أكتر من ربع ساعة، بعد ربع ساعة بتغيب عن الوعي من كتر الوجع، وإذا قاومت يرفعوك أكتر لحتى تصير معلق بين السقف والأرض، وإذا غضبوا عليك بيشبحوك بالعكس، بصير راسك لتحت واجريك لفوق)

الحمْد لِلَّه لم أَشبح، الْحمْد لِلَّه لَم أَشبح.

عقب أَحدُّهم على حديث الشَّاب وهو يبْكي قَائلاً: (أخ يا ريتهم شبحوني أسبوع ولا كهربوني من القضيب، إذا الله كتبلي عمر وطلعت من هون، كيف بدي عيش وأنا مو رجال)

لم أَتفوه بكَلمة واحدة من شدَّة الصَّدمة، لماذا. هل كلّ ذلك من أَجل السُّلطة...؟

أَين عصابة الامم المتحدة...؟

أَين المنظَّمات الَّتي تنادي بحقوق الأنسان...؟

أَين الرَّحمة...؟

ومن يفعل ذلك بنا هل هم أَبناء الْوطن الَّذين يبْدعون في أَساليب تعْذيبِنَا وقتلنا.

مرّت خمْسة أيَام علَى اعتقالي وَلَم أَتُنَاول الطعام، فَقَام أحد الشَّباب بإجباري على تناول الطعام لأُبقى على قَيْد الْحياة.

كلّ يَوْم يمر بي كأَنَه أَعوام. أُسافر في أَصْقاع ذاكرتي من محطَّة إِلى أخرى باحثاً عن الحب والأمان. يزورنِي الأَمل فَيطرده الْيأس سريعاً.

Digitized by Google

أَمضي أغلَب وقتِي واقفاً وكثيراً من الأحيان يغلبني النُّعاس وأَنَام واقفاً وأَستيقظ عندما أَقَع فَوْق أحدهم أَو يصطدم رأْسي بالْحائط من شدَّة الألَم.

وبعْد مرور أحد عشر يوْماً يدْخل إلى منفردتنا معتقل جديد في منتصف العقْد السادس من العمر. دخل علينا وهو يبكي ويتمْتم: (ما احترموا كبير ولا عطفوا على صغير، بعد هالعمر واحد بعمر احفادي يدوس على رأسي ويشحطني متل الغنم، يحترموا هالشيبة بس، يا رب فرجك، يا رب نحنا بأول يوم برمضان شهر الخير والبركة، يا رب فرجك).

نحْن في اليوم الأوَل من شهر رمضان المبارك؟

هذا اليوم يعني لي الكثير. هذا يوم اجتماع العائلة بأَكملها على مائدة الإفطار كيْف سيكون هذا اليوم بدوني...؟

هل هم في بيوتهم أَم نزحوا إلى مكان أَخر...؟

هل هم بخيْر أَم أَصاب أحدهم مكروه...؟

هل سأعود يوماً ما وأَجلس معهم على مائدة الإفطار...؟

لله الْحمد أَنَّنا صائمون بطبيعة الحال بسبب قلة الطعام ولا أحد يتناول الطعام خوفاً من الحاجة للإخراج فالوقت المخصص لدخول الخلاء هو عشر ثوان فقط وإن لم يخرج قبل أن ينتهي السخرة من العد فهو في عداد الأموات.

أَمضيْت في هذا الفرع خمسا وعشرين يوْماً لن أَنْساها ما حييت، بكيْنا كثيراً وتحدِّثنا قَليلاً.

Digitized by Google

حرِّمنا من أَبسط حقوق السّجين حتّى ولو كان مجْرماً..

حرِّمنا من النَّوم لنهرُب به من الْواقع..

حرِّمنا من وجود مكان نجلس فيه..

حرِّمنا من الطَّعام والْماء..

وحتَّى الهواء الَّذي لا يملكه أَحد أَصْبح حكرا بيد السّجان..

أَصْبح الخوف جزءاً منا، نموت ببطء. وداعاً للحياة.

وفي صباح الْيوم الخامس والعشرين طلب منْي السخرة أَن أَستعد للخروج.

لَم أُصدّق ذلك وكَأَنَه حلم ولَيس واقعا. وأَخيراً سأخرج، وأَخيراً سوْف أَتعرُّض لأَشعَّة الشَّمْس، وأَخيراً سأعود لأَهليّ، تعثَّرت في مشيَّتي، ومن شِدَّة فَرحتي نسيت أَن أَوْدع أصدقائِي.

أَعداد كبيرة تتجهّز للخروج، أُخرجونا إلى ساحة كبيرة تجمعْت الذئاب الْبشريّة حولَنا منهم من يحْمل السّوط ومنْهم من يَحمل الأخضر الإبراهيمي (والأخضر الإبراهيمي" هو أنبوب أخضر اللَّون يستخدم في التجهيزات الصّحية الأوَليَّة في المنازل، وقَد أطلق عليه السجناء لقب الأَخضر الإبراهيمي بسبب لونه الأخضر وسخريةً من الْمبعوث الدّوليّ الأَخضر الإبراهيمي الَذي لَم يقَدم شيئا) وبدأْت التّوديعات فَمن غير اللاّئق أَن نخرج دون توديعه نتذكّرها ما حيينا.

وبعد الكم الهَائل من العذاب لم أَكن أَظنّ أَنّ غلّ هؤلاء مازال متعطّشاً لتعذيبنا، تفنَّنوا بأَسالِيب التَّعْذيب الْجسديَّة والنَّفسيّة، وما أَثَار

Digitized by Google

انْتباهي أَنّ التَّركيز كان على المنطقَة السَّكنيّة، وعنْدما سأَلوني من أَيْن أَنْت توقَّفت الكلمات... كيف سأقول لهم من مدينة...، وهم ينتظرون هكذا إجابَة كي يفرغوا غضبهُم وحقدهم عليّ، قلت لهم من مدينة...، فكانت الإجابة كالصاعقة، وبعد الضرب والإهانات والشتائم قالوا (خلي العرعور ينفعك هلق...) وهكذا انتهت حفلة الوداع.

كبَّلونَا بالسّلاسل واقتادونا إلى فَرع جديد، وبدأت حفلَة الاستقبال، ركلات ولَكمات وشتائم لَم تسجِّل بعْد، وكلّ عنصر يتباهى بقوَّته أَمام زملائه، نقَع أرْضاً يدوسونا بأَقدامهم، يغلقون أفْواهنا بالْحذاء الْعسْكري كي لا نصرخ من الألم.

أَكْثر من نصْف ساعة وهم يحْتفلون بقَدومنا. الدِّماء تسيل من كلّ أَنْحاء جسديّ، أَحاول جاهدَاً أَن أَبقَى واقفا، سألوني عن أَسمَّي وتاريخ اِعتقالي وأَدْخلوني إلَى زنْزانة كبيرة جداً يوجد فيها ما يقارب خمْسين شخصاً. تقَدّم نحْوى أحد الْمساجين وأَخذ بيدي إلَى الْمغْسلَة في زاوية الْغرفَة وحدثّني قَائلاً: (حاول خفف وجعك بالماء. انتبه السَّجان كل ربع ساعة تقريباً يراقبنا من خلال الشراقَة (والشراقة، هي فَتحة صغيرة في باب الزنزانة) لا تحكي مع حدا أبدا ولا تنظر إلى جهة الْباب).

استلقيت بجانب الْمغسلَة وأَخيراً أَسْتطيع أَن أَستلقِي على ظهري، وبعد خمسة دقائق فُتح باب الزنزانة، الكل يقف بسرعة ويتجمعون في زاوية الغرفة.

Digitized by Google

يتحدث السجان قائلاً: (يا أخوات الشرموطة، جبنالكن العلف، بتخلصوا علف بدون صوت)

الأغلَبيّة كانُوا صائمين أيضاً، لكنَّهم لا يستطيعون الاحتفاظ بالطَّعام حتَّى وقْت الإفطار، لذلك كانوا مضْطرِّين أَن ينتظروا وجبة الْمشاء في آخر اللَّيل ليفطروا عليها. طبعاً إن تكرّم السّجان وأَحضر وجبة العشاء. ففي أغلب الأحيان لا تكون هناك وجبة عشاء فنبقى صائمين حتّى تأَتّي وجبة العشاء في اليوم التّالي.

تقْتحمنَّي الأَفكار الْمخيفة..

هل سيُحقَّق معي مرّة أُخرى؟

ما هي أَساليب التَّعذيب الْمعتمدة في هذا الْفرع؟

لِماذا.. أَنا هنا؟

الخوف يقتلني، ليتني أَستطيع النَّوم، ليتنِي أَسْتطيع أَن أَسجد لله لكنّ الصّلاة في الأفرع الأُمنيّة جريمة وممْنوعة منعاً باتاً، الْهدوء مرعب، الجميع ينتظر الْموت.

أَمضيت في هذا الْفرع خمسة أيام لم أَنم فيها إلا بضع ساعات.

وفي صباح اليوم الخامس يصرخ السَّجان بإسمي باحثاً عني. أَعلمه رئيس الغرفة بمكان وجوديّ، توجّهت إلَى باب الزنزانة أُستقبلني السَّجان بصفعة قويّة وقيّدني وطلب مني أَن أَتبعه، دخلنا مكتب أَحد الضُّباط، وطلب مني الضّابط أَن أَبْصم على ورقة لم أَجْرُؤ أَن أَنظر إليها قائلاً: (مو حرام انْت تكون طالب جامعة يا

Digitized by Google

مجرم، مبسوط يا بطل، على كل حال حولناك على فرع إدارة الْمخابرات العامّة بالشام وعلى الاغلب ما ترجع)

تجَمّد الدّم في عروقي، أُخرجني السَّجان إلى ساحة الفرع بالركلات والصَّفْعات. وكان هناك ما يقارب ثلاثين سجيناً ينْتظرون وصول الشّاحنة.

وصلْت الشَّاحنة الَّتي ستنقلُنا إلى مقابر الْمخابرات الْعامّة. علامات الصّدمة والرُّعْب ظاهرة على وجْه الْجميع. أُريد أَن أَصرْخ. أُريد أَن أَبكي.. الْمخابرات الْعامّة... لماذا. لماذا... طال الطَّريق كثيراً، لم يتفوَه أحد بكلمة إلّا رجلٌ في العقد الْخامس من العمر وعلامات الشَّيْب واضحة علَيه كان يبْكي ويردّد (أَن لَم تأْتني زائراً أتيت سجيناً، أَن لم تأْتني زائراً أتيت سجيناً).

وصلَنا إلى فرع الشُّرطة الْعسكريّة في مدينة دمشق، نقلونَا إلى شاحنة مغلَقة تماماً. درجة الْحرارة مرتفعة جداً داخل الشّاحنة، يسمّيها السّجناء (الْفرن). عمليّة التنفُّس مسْتحيلَة، في أَقلّ من ساعة تقْريباً غاب عن الْوعى في هذه الشّاحنة خمسة سجناء وهي لا تزال تسير.

بعْد ساعة ونصف تقْريباً توقفت الشَّاحنة وفتح الْباب وصعد الْعناصر ووقفوا عند باب الشَّاحنة وبدأوا يرمون السّجناء إلى الأسفل. فمنّا من وقْع على يده فُكسرت، ومنّا مِن وَقع على ظهره... وبدأت حفلة الاسْتقبال كالْمعتاد.

Digitized by Google

صرخ أحد السّجناء وكان أَشجع شخص رأَيْته في الْمعتقلات فالشّجاعة نادرة جداً داخل السّجون. صرخ قائلاً: (تركوني اتنفس، أَنا عم موت، أنتو رجال عم تضربوني وأَنا مربط، فكوني يا جبناء)

شجاعة الشَّاب فتحت علينا أَبوّاب جهنم، لَم نعد ندْري من أَين يأْتينا الجلد، ولم نعد نعْرف بماذا نُجلد. يقع أحدنا فيسحبوه على الإسفلت. ولكنّهم كانوا كرماء معنا فقد سمحوا لنا بالصّراخ.

وبعد أن انتهت حفلة الاستقبال، وضعوا العصبة على أعيننا وطلب منا السجان أن نتبع صوته قائلاً: (انتبهوا هلق راح ننزل على درج، هو أكيد البهايم ما بتعرف تنزل على الدرج، بس راح نعلمكن تصيروا خلق وعالم)

ما تَمكَّنت أَن أُعدَه عشْرين درجة. نحْن الآن في الطَّابق الثَّاني تحْت الأَرض.

أَدخلني السَّجان إلي زنزانة (بطول خمسة أَمتار وعرض خمسة أَمتار تقريباً) فيها ما يقارب مائة شخْص. وقفت عند باب الزِّنزانة، وتقدّم نحوي رئيس الْمهجع قائلاً: (فوت على الْحمام غسل بركي ترتاح شوي).

و"رئيس المهجع" هو سجين أيضاً ويكون في أغلب الأحيان عيناً للسجان داخل الزنزانة، ويتولى مهمة توزيع الطعام وتنظيم السجناء داحل الزنزانة.

Digitized by Google

دخلْت إلى الحمام (مساحة الْحمام بعرض متر ونصف وطول مترين تقريباً) يوجد فيه أكثر من عشرة أَشخاص ليس لهم مكان في الخارج، كلُّهم عراة.

أحدهم يقضي حاجته..

وأحدهم يستحمّ...

وأحدهم يقضِم أَظافِره...

وأحدهم ينْتف الشَّعر من حوْل العضو الذّكرى..

وأحدهم يتهامس مع صديقه..

يا إلهي! أين نحن؟

هل نحْن في العصْر الْحجريّ؟

خرجْت مسْرعاً فقد ذهلْت من ذاك الْمشْهد الَّذي لم أر ولن أَرى مثْله في حيّاتي ولا حتَّى في الأَفلام.

توجّهْت إلى رئيس الْمهجع: (أَرجوك أُريد أَن أَقْضي حاجتي وأَستحمّ لا يمكنني أَن أَفْعل ذلك أَمام النّاس)

أجاب مبتسماً: (أي عادي، بكرا تتعود، بعدين حدا بفكر بالصح والغلط هون، تعال أنا راح ساعدك، وأنت خليك لابس ملابسك الداخلية تحمم فيهن، خمس دقائق وينشفوا)

دخلَنا إلى الْحمام وخاطب الشَّباب قائلاً: (يا شباب، الأَخ خجْلان منْكن فتحولوا طريق يفوت على جرن الحمام ومحد يطّلع عليه)

حاولْت أَن اسْتحمّ بسرعة. طبعا بالْماء البارد وبدون أَيّ موادّ تنظيف. أَتمنَّى أَن أَبْقى تحْت الْماء لساعات فأَنا منْذ شهْر لم اسْتحمّ،

Digitized by Google

خرجْت من الْحمام وطلبت من رئيس الْمهجع أَن يساعدني ويبْحث لي عن مكان لأَجلس وأَرْتاح قليلاً.

توجّهنا إلى زاوية الغرفة، ونحْن نتعثَّر ونَسْقط بسبب الازْدحام وخاطبني قَائلاً: (مكانك هون، إلك بلاطة ونصّ بالطول وبلاطة ونص بالعرض، وبتبدُّل أَنت وأَربع شباب، يعْني أَنْت بحقْلك تقْعد بالْيوْم كلو ستّ ساعات، حاول تنام فينّ والساعات الْباقية بتوقف بالْحمام أَو عند الْباب حسب المكان)

إذاً لا يمكنني الْجلوس الآن. يجب أَن أَذهب واقف في الْحمام، لا أَسْتطيع أَن أُدرك الْواقع الَّذي أَنا فيه. وقفْت في زاوية الْحمام، استندْت على الْحائط لأُخفِّف من أَلم قدميّ قليلاً. أغمض عيني لكيلا أَرى شيئاً. أَتنفس بصعوبة بالغة.

توجد فتحتَّانّ صغيرتان في الزِّنزانة، واحدة لضخّ الْهواء والأخرى لسحبه.

الرُّطوبة قاتلة في باطن الأرض. السّجناء كلُّهم هياكل عظميَّة، عظامهم واضحة وضوح الشَّمْس من شدّة النَّحف.

متَى بنيت هذه الزّنزانة...؟

ولماذا بنيْت...؟

هل توجد طوابق أخرى تحْتنا...؟

هل سأَموت جوعاً أَم عطشاً أَم...؟

خلعْت ملابسي وأَبقيْت فقطّ ما يستر عورتي لا أَحد يرتدي خارج الْحمام إلّا ما يستر عوْرته.

Digitized by Google

وبعْد أَن مضى ما يقارب ساعتين وأَنا أَقف في زاوية الْحمام دخل أحد شركائي في الْمكان وحدّثني قائلاً: (اتَّفقت مع شركائنا في الْمكان نفضيلك الْبلاطة مشان ترتاح، خود راحتك وبس ارتحت تعال بدّل)

ذهبْت إلى مكاني وحاولت الْجلوس بصعوبة، بجواري رجل في الْعقد الخامس من الْعمر. سأَلته عن التَّحقيق فهذا ما كان يشغل تفكيري أُجاب: (يا ابني، كلو أَضرْب من بعْضه لا شفقة ولا رحْمة، حاول ترتاح هلق شوي لسا بكير على التَّحقيق)

قطع حديثه معي وأَخذ ينْظر في أرجاء الغرفة ويخاطب بلْغة الإشارة شخْصا يقف في الزّاوية الْمقابلَة لَنا وعاد يحادثني: (لسا شي ربع ساعة لأذان المغرب، معي رغيف خبز هلق بنفطر أنا وياك وبعدين حاول تنام)

سألته باستغراب: (هل تملكون ساعةً هنا)

أجاب: (لا يا ابني منين الساعة، بس عاملين نظام لنعرف الوقت بشكل تقريبي).

ليتني أَنام. لَيْت النُّعاس ينْتصر علَى الخوف. الْخوْف في هذا الْمكان أُقوى بكثير من النُّعاس. فأَنا في إدارة الْمخابرات الْعامة.

حاولْت متابعة الْحديث معه لَكنَّه لا يجيب، وبعْد بضْع دقائق أُجاب قائلاً: (سمعناك، سمعناك، بس كنت عمّ صلّي).

تعجّبْت من ذلك. وسأَلْتُه كيف كنت تصلْي وأَنْت لم تتحرَّك أَجاب: (كنت عمّ صلّى بعيوني، مشّان ما ينتبه رئيس المهجع).

Digitized by Google

لم تخطر ببالي تلْك الْفكرة من قبل. جزاك الله خيراً يا عماه، صليت كثيراً، ودعيت الله كثيراً أن يخفِّف عني كيد الْمحقِّق.

ذهب الْعمّ أَبو ماهر ليفْسح لشركائه في الْمكان، وجلس مكانه شابّ في أواخر العقد الثَّالث من الْعمر وكان يضع ربطة حول عنقه، نظْرة إِليه باستغراب، كيْف يسْتطع تحمُّل هذه الرّبطة في هذا الْحرّ الشَّديد.

حدّثني قائلاً: (الْحمد لله على سلامتك، بتهون أَنّ شاء الله، بدّها صبر، أَكيد عم تقول لحالك كيف هدا متحمل يلف رقبته بهدا الجو، الكل بيسألوا عليها، ما راح خليها حسرة بقلبك)

أَدار ظهره نحوي وفكّ ربطة العنق وإِذ هناك حفْرة في رقبته، أَقشعرّ بدني وفاضت عيناي دمعاً.

تابع حديثه: (طلعتلي حبة برقبتي، وبلشت حكها حتى تورمت وبعدين طلبت من صديقي يعصرها ويطلع القيح منها، لما عصرها الشب وطلع القيح صار محل الحبة جورة، وإذا بتركها مفتوحة مشكلَة، انتبه منيح هلق بدك تبلش تجرب ويطلع الحب بكل جسمك، حاول ما تحك لأَن الحك راح يزيد الوجع والجرب).

أَفكار تأْخذنَّي إلى بيتي وفجأَةً ترميني في زنزانتي، أَنظر حولي كيف بعضهم مستغرق في النَّوم... وكيف هم ينامون فوق بعضهم.

وكيف يضع أحدهم قدمه في وجه الأخر وهو نائم دون أَن يشعُر..

وكيف إذا أَراد أحدهم الذَّهاب إِلَى الْحمام يدوس فوْقهم ليصِل.

هل اعْتادُوا علَى ذلك؟

Digitized by Google

هل سأُبقي هنا كثيرا؟

وهل سيأْتِي يوْم وأَصْعد فيه إلى ظاهر الْأرض؟

وفي صباح الْيوْم التَّالي طلبْتُ الى لتَّحقيق. أَدعو بقلْبي دعاء الْمضطَرّ. أَدعو بقلْب حزين وخائف. للّه الْحمْد. أَستجَاب الله دعائي.

دخلْت غرْفة التَّحقيق. استْقبلَني الْمحقّق بركْلة قويَّة أُردْتني أرْضاً. طلب مني أن أَستلقي على بطني وأَرْفع قدميّ ليجْلدها، وكانت قدماي قد تورَّمْتا ولَوْنهما أَزْرق. عنْدما رأْها الْمحقِّق لم يجلدني وأُمرّني بالْوقوف.

خاطبني قائلاً: (يا ابن المنتاكة مو عيب عليك، ما مخلي شي مانك عاملو، تهريب سلاح، تمويل، بث مظاهرات على المحطات الفضائية)

أَجبته بصوت منخفض: (سيدي أَنا لَم أَعترف بهذا الشَّيء وهذه التُّهم كانت مكتوبة في التَّقرير)

صرخ قائلاً: (يا حمار هدول اعترافاتك، ما اتهامات، يعني أَنت معترف بهذا الحكي)

حاولْت التَّحدّث لأَخْبُره بما حدث، لكنّ لساني ربط من شدَّة الصَّدمة، كنت أَظنّ أَنني لَم أَعتَرف بكُلّ هذه التُّهم، لَقد أيقنت أَنَّه انْتهى أمري.

يدْخُل غُرفة التَّحقيق أَحدّ الْعناصر قائلاً: (سيدي في اجتماع ضروري عند رئيس الْفرع)

Digitized by Google

فقام الْمحقِّق من مكانه وبدأ بالشَّتم والإهانات والصَّفعات والرَّكْلات وطلب مني أَن أَبْصِم عَلى أَقْوالي، وطلِب من الْعنصر إعادتي إِلى الزِّنزانة. وفي طريق عودتنا إلى الزنزانة سألني العنصر عن رقم زنزانتي فأجبته بعفويَّة (لا أعلم يا أخي)

جنُّ جُنونه وكأَنِّي قدْ شتمته عندما قلت له يا أَخي، رماني علَى الْأرض وداس علَى رأْسي ولَمْ يكتف بذلكَ حتَّى مسكني منْ شعْري ورطم رأْسي بالْحائط وذهب وهو يتمتم، أَحْسسْت بدوار شديد، أَحاول الْوقوف لكنْ دون جدوى.

عاد بعْد بضْع دقائق وجرَّنِي منْ شعْرِي وأَدْخلني إلَى الزّنزانة. ارتميت عند باب الزّنزانة. تقدَّم أحدُ الشَّباب وساعدني لأَذهب إِلَى الْحمام وأُبللْ جسدي بالْماء.

تركَّ لي شركائي الْمكان للجلوسِ. ارتميت في حضْن الْعم أَبو ماهر وحدّثته عن التَّحقيق. يحاول الْعمّ أَبو ماهر الرّفْع من عزيمتي وفعْلاً نجح في ذلك عندما قال لي: (يا ابني أطلع على حالتي، ما خلو تهمة إلا وكتبوها بالإضبارة، أَنت لازم تكون أَقوى من هيك، شوِ بدو قول أَنا، سلم أَمرك لله، رب العالمين هو القاضي)

نمت على بلاطتي التي لا تتسع حتى لطفل رضيع حوالي ثلاث ساعات، استيقظت بعدما تعثر أحد الشَّباب وسقط فوقي، يجب أَنْ أَفْسح الْمجال لغيري.

يتمْتم أحدهمْ: (ما كان ناقص غير يقطعوا المي، حتى هي لقوها كتير علينا)

Digitized by Google

توجّهت علَى الحمام. فعلاً لَا يوجد ماء. مضى اليوم بأَكمله ولمْ يأْتي الْماء. طلب السّجناء منْ رئيس الْمهجع أَنْ يخبر السَّجان بمشكلَة الماء. تردّد رئيس المهجع وطلب منّا الانتظار حتّى الصّباح.

الرّائحة قاتلَة مع وجود ماء، فكيف بدون ماء؟

في صباح اليوم التَّالي أَخبر رئيس المهجع السَّجان فأُجاب ساخراً: (فوق ما خربتوا البلد لسا بدكن تاكلوا وتشربوا).

تبدأُ التَّحقيقات في الصّباح وتعْلو صرخات الألم والاستغاثة. صرخات الألم تقتلنا. تنتهي التَّحقيقات تقْريبا عند السِّاعة الرّابعة عصْراً وفي المساء تبدأ التّحقيقات مع النِّساء. صرخات النِّساء الشيّ الوحيد الَّذي لن ينساه المعتقل حتّى تفارق الرّوح الجسد. نساء تغتصب وتعذِّب وتشبح وتصعق بالكهرباء وتشْتمّ بأشنع وأُفظع العبارات...

ولكنّ لماذا.. لماذا. لماذا... النِّساء؟

بعْد ثلاثة أيّام وبعد التوسل والتذلل للسجان للهِ الْحمد اعادوا الْمياه وانتهى التَّعذيب بقطع الْماء، وبدأ التَّعذيب بقطْع الْهواء. ففي الْمساء توقّف ضخَّ الهواء منْ خلال الْفتحات، وما هي إلّا ساعات حتّى بدأْت حالات الاختناق.

أَبو ماهر (رحمه الله) يلْتقط أَنفاسه الأَخيرة بجانبي. أَخبرت رئيس الْمهجع ليخْبر السَّجان ويطلب منه إخراج الْعم أَبو ماهر إلى طبيب السّجن. وبدأَ يقرعَ باب الزّنزانة. لكن دون جدوى لا أَحد يستجيب، يرتمي أَبو ماهر بأَحضاني وهو يلتقط أَنفاسه الأَخيرة. فارق الْعمّ أَبو

Digitized by Google

ماهر الحياة. تجمّدت في مكاني، صعق الجميع وعمّ البكاء في المكان.

تشجّع الشّباب وبدأوا يقرعون الباب بقوّة، ونحْن نبكي وننوح. وبعْد ما يقارب ساعتين وأَخيراً السَّجان يصْرخ: (مين عم يدق الباب، من أَي مهجع الصوت)

اجاب رئيس المهجع: (سيدي زنزانة رقم أَربعة)

السَّجان: (يا جحش، ليش عم تدق الباب)

رئيس المهجع: (سيدي، كان في رجال عم يموت، كنت عم دق الباب مشان نساعدوا، بس هلق توفي مشان نطالعوا)

السَّجان: (يعني مات)

رئيس المهجعِ: (نعم سيدي مات)

صرخ السَّجان: (لا تقول مات يا ابن القحبة، قول فطس متل الكلب، جيبوا زتو عالباب، وطلع اللي كان عم يصرخ)

من يجْرؤُ أَنْ يقول انا كنت أَصْرخ فهو في عداد الأموات. صمت مرعب وقلوبٌ مليئة بالخوف والحقد، لكن ليْس بالْيد حيلَة.

كان استشهاد العم أَبو ماهر صدمة قاسية لي فهذه المرّة الأولَى في حيّاتي أُراقب شخصاً وهو يودع الحياة. فارقت روحه الجسدِ وهو بأَحضاني، وتسبّبت للبعض بفقدان عقولهم فأَمسك أحدهمْ بحذائه واستخدمه كهاتف نقَّال ليتَّصل مع أهْله ويحدثهم عنْ وفاة العم أَبو ماهر. والآخر يبحث عنْ مفتاح سيّارته بين السّجناء ويشتمّ ويصرخ.

عاد السّجان مسرعاً: (مين عم يصرخ يا اخوات الشرموطة)

Digitized by Google

رئيس المهجع: (سيدي عنا شبين فصلوا بعد اللي صار)

السّجان: (زتن براة انا راح علمن الجنان)

ربّما كانت هذه الدّقائق الأخيرَة في حياتهم فلم نرهم بعْدها.

وما هي إلّا ساعات يدْخل السّجان ومعه عنصرين إلى الزّنْزانة وبحوْزتِهم الهروانات وصواعق الْكهرباء، يجْلدون من يأْتي بطريقهم. كانت هذه الْمرّة الأولى الّتي أَصعق فيها بالكهرباء. يطلبون منّا تقلّيد أَصوات الحيوانات لأَنَنَا في نظرهم لسْنا بشرا. طلب السّجان من أحَد السّجناء أَن يلوط مع سجين آخر، ارتمى هذا الشّاب بين قدمِيه وتوسّل إِلَيه أَن يتركه.

السجان: (ها لمرة راح اكتفي بهدا الشي، بس مرة تانيه إذا بسمع صوت أو حدا بدق الباب مهما كان السبب، راح خليكن تحبلوا من بعض).

الذعر والرّعب والخوّف والْقلق والْهلع والْبكاء يسيطر علَى الجميع. ذهبْت وجلَسْت في زاوية الحمام مع انفِصال تامّ عن الْواقع. أَفَكِّر بأَهْليّ (ماذا حل بهم؟ وأَيْن هم؟ ادُّعو الله أَن يكونوا قَدّ غادروا الْبلاد حتّى لا يقع أَحدّهم في الاعْتقال)

الْأيّام تمرّ ببطْء شديد، الجرب منتشر لدى الْجميع. الآلام الّتي يسبِّبها قاتلة. نحاول أَن نسكِّن من الألم بالاستحمام. طبعاً بالماء البارد فقطّ وبدون أَيّ موادّ تنظيف. آفة القمل منْتَشرة أيضاً. نمضي أغلب الْوقْت في البحث عن القمل وقتله.

Digitized by Google

كانت عمليَّة الإخراج الأَوّلى بعد أَربعين يوماً تقريباً من عدم التَّبرز أَشبه بعمليَّة ولادة المرأَة من دون تخدير. تقطَّعت أحشائي. أمضيت ما يقارب نصف ساعة في الخلاء والدِّماء تنزف والألم يزداد والشَّباب يقفون فوق رأْسي يشجّعونني. وأحدهم يغلق فمي حتّى لا يصل صراخي للخارج.

كنت أُحاول في أَوْقات التَّحقيقات أَن أَنحْشر في زاوية الْحمام حتَّى لا أَسمع الصّرخات.

وكانت الصّدمة القاتلة الَّتي أَبكتْنا لشهْر كامل، دخول طفل إلَى زنزانتنا وكان في التَّاسعة من الْعمر. دخل إلى الزّنزانة وهو يبْكي (اريد أُمِّي أُريد أَن أَعود لمنزليّ، أُمّي تنتظرني)

حاولنا أَنّ نهدأ من روعه، لكنّه لم يتوقّف طوّال فترة وجوده في الزّنزانة لمدة شهر عن الْبكاء.

ما ذنْب هذا الطّفْل؟

هل هو إرهابي. ثائر. مسلَّح؟

حاولْت عدّة مرّات أَن أُحدثه، لكنَّه لم يتجاوب مع أحد.

أَحدّ الشَّباب تورّمت قدماه، فطلب رئيس المهْجع من السّجان اخراجه إلى طبيب السِّجن لكنّ السّجان رفض ذلك، قام أحد السّجناء بمساعدته وأُخرج القيْح منها، وبعد عدّة أيّام بدأ يخرج الدّود من قدّمه وبعد عدّة محاولات وافق السّجان على نقله ليعاينه طبيب السِّجن. علمنا من الشَّباب الَّذين نقلوه إلى الطَّبيب بإنّ قدَّمه أُصيبت بالغرغرينا ونقل إلَى المشفى لبتر الْجزء المصاب ولم نره بعدها.

Digitized by Google

أَغلب الظنّ أَنَّه قتل في المشفى العسكري لأَنّ المشفى كانت عبارة عن مشْرحة بحسْب ما قصّ لنا ماجد. وكان ماجد قد نقلّ للمشفى العسكري وأُمْضى فيها عشْرة أيّام.

حدثنا قائلاً (العمليات الجراحية كلها بلا تخدير الأطباء والممرضين مجرمين أكتر من ضباط المخابرات. طبعاً عملت العملية بلا تخدير وبلا تعقيم كنت كل ما اصرخ من الوجع يضربني الدكتور والممرضة ما خلت مسبة على أمي وأختي وكل ما دخل واحد ببلش يسب ويبهدل ويضربني محل الجرح. واللي بيكون من منطقة فيها ثوار وفيها مشاكل مباشرةً بيموتوا)

وفي هذا اليوم كنَّا نظنّ أَنّ غداً هو اليوم الأَوّل من أيّام عيد الفطر المبارك. يفتح باب الزِّنْزانة ويدْخل السّجان قائلاً: (اليوم هو اول يوم بالعيد جبيت عيدكنّ بطريقتي الخاصة، مشان ما تزعلوا، مين حابب يكون مع أهله، مين منكن حابب يكون مع أَولاده)

أَجاب أحد السّجناء (كُلنا سيدي)

السّجان: (حلو ها لحكى، تفضل شرف لعندي وسمعنا كيف بتكون الكلاب عم تنبح وهي فرحانة بالعيد)

بدأ الشَّاب بالنُّباح وهو يبكي.

السّجان: (ليش عم تشنهق. زعلت على حالك)

أَمْسك السّجان بالشَّاب ورماه أرْضا وبدأ يجلده على ظهره وهو يردّد (الله يلعنكن، يلعن شرفكن انتو ولاد حرام، خربتوا البلد، أنا لازم كون عم عيّد مع ولادي بس بسببكن أَنا هون)

Digitized by Google

خرج السّجان وعمّ البكاء المكان، نبكي من الإهانات والشّتائم..

نبكي شوقاً للعيد مع الأهل.

نبكي لأننا لَم نكن نعلم أنّنا نعيش مع هذه الذئاب في وطن واحد.

كان هذه اليوم من أَصعب الأيّام الّتي مرّت عليّنا، ليت هذا العيد لَم يأْت. ليتنا لم نعْلم أنّ هذا اليوم هو اليوم الأوّل من أيّام الْعيد.

بعد مرور ما يقارب شهْر ونصف من وجودي في هذا الفرع بدأت أَشعر بالْجوع ولدى رغبة شديدة لتناول الطّعام. فَمنذ الأيّام الأولَى من اعْتقالي إلِى الآن لم أتناول إلّا الْقَليل الْقَليل من الطّعام. لكنّ الْمشكّلة أنّ الطّعام الّذي يوزّع علينا لا يكفي لإشْباع ثلاثين شخصاً على أكْثر تقدير من أَصل مائة وعشْرين. فَقَد كان يتّفق السّجناء على أَن تضحَى في كلّ يوْم مجموعة منْهم بحصّتهم للآخرين.

وكَان الطّعام جزءاً مهما من معاقبتنا، ونوعاً من أَنواع التّعذيب فلا يوجد وقت معيّن لتقديم الطّعام في اغلب الأحيان. الفَطور صنّف واحد يومياً عبارة عن بضع حبّات من الزّيتون في قصْعة عسكريّة لثمانية أَشْخاص مع رغيف خبز يابس لكلّ شخص.

ووجبة الغداء رزّ مسلوق قليلاً بالماء، ووجبة العشاء أَربع حبّات بطاطا مسْلوقة قَليلاً بالماء لو ضربتها بالْحائط لعادت إليك لكلّ ثمانية أَشخاص.

الشعر تحت الإبط يضَايقني كثيراً، كانت عمليّة التّخلص من الشعر أَشبه بالصّعق بالكهْرباء بل أَشدّ ألماً. كنت أُبلل الشّعر بالماء

Digitized by Google

وأَشده بقوّة. مع كل شعرة يزداد الألم أكثر فَأكثر. وكانت عمليّة قَضم الأَظافر أَسْهل وأَخف ألماً. فبعد نقع الأظافر بالماء لفترات طويلة تصْبح الأظافر طريّة نوعاً ما ويسهّل قضمها.

وبعد مرور شهرين ونصف طلبت من المتطوّعين لحساب الوقت العمل معهم علّ ذلك يساعد في التّخفيف من التَفكير المميت القاتل.

وبعد عدّة أيّام طلب أَحدّ الشّباب إلى التّحقيق، ولم يعد إلى الزّنزانة إلّا بعد ثلاثة أيّام ظننّا أنّه قد استشهد تحت التّعذيب. كنت أَقف عند باب الزّنزانة. دخل وارتمى أرضاً وهو يتأَلّم بشدَة قائلاً: (مشان الله ساعدوني. شلحوني الكلسون /اللباس الداخلي/ فوتوني على الحمام)

حاولت المساعدة برفقة شاب آخر.

يتابع الشاب: (مشان الله انا عم موت، شلحوني الكلسون، ما عم أقدر حرك ايدي، بدى أتبول)

أمسّك به الشّاب وأُسنده على الحائط وحاولت نزع ملابسه الدّاخليَة. ذهلْت بِذاك المشهد. عضوه الذكرى متورّم كثيراً، وقد وُضعت مادّة لاصقة أغلَقت فَتحة القَضيب لتمنعه من التبول. وكانوا يجبروه على شرْب الماء بكمِّيات كبيرة. قمت بنزع المادّة اللّاصقة بصعوبَة بالغة جداً.

ما هذه الطّريقة الجديدة في التّعذيب!

ما هذا الأبداع في القتل!

أَمضيت في تلك الزّنزانة مائة وخمسة أيّام لا أصدِّق حتّى الآن أَنّ باستطاعة الأنسان أَن يعيش في هكذا مكان طوّال هذه المدّة.

Digitized by Google

ينادي السّجان بإسمي، يحاول الفرح بخوف وتردّد التّسلل إلى قَلبي. لكنّ الخوف واليأس لَم يفسحا له مكانا. في تلك اللّحظة راودتني الكثير من الأفكار.

هل سأساق إلى فَرع جديد؟

هل سأذهب لرؤية القاضي؟

لعلّي سأذهب الى بيتي؟

وأَخيراً سأرى ضوء الشّمس. أَتَعثر في مشيتي كالطّفل الّذي يحاول المشي للمرّة الأولى. أَخرجونا إلى ساحة الفرع. لله الحمد وأَخيراً أَصبحنا فوق الأرض يتحدّث أحد الضّباط قائلاً:

(طلع عفو من سيادة الرئيس، راح توصلكن الشاحنة على الكراجات ومن هناك كل واحد بيروح على بيتو)

لِله الحمد، سأعود إلى أهلي بعد بضع ساعات (هكذا كنت أَظنّ).

طلبوا منّا أَن نهتف لسيادته، نسينا الآلام وهتفنا. بكيت من كلّ قَلبي من شدّة الفرح. ركّبنا الشّاحنة وبعد ما يقارب نصف ساعة توقّفت الشّاحنة وفَتح العناصر الباب وتحدث أحدهم

قَائلاً: (ابن المنيكة، اللي بيطلع أسمو بينزل بسرعة)

كَان أَوّل اسم ينطق به هو اسمي، تجمّدت في مكاني لم أَستطع الوقوف، ينظر السّجناء باحثين عن صاحب هذا الاسم.

يصرخ السّجان مجدداً، حاولت الوقوف وعندما وقفت فقدت توازني ووقَعت. توجّه العنصر نحوي. أَمسّك بي من شعري ورمّاني من الشّاحنة إلى الأرض وبدأت الكلاب المسعورة تتناول فرِيستها.

Digitized by Google

كانَت حفلة الاستقبال قاسية جداً. وبعد أَن انتهت حفلَة الاستقبال أَدخلوني إلى زنزانة شبيهة بتلك الَّتي أتيت منها.

استقبلني رئيس المهجع وافسح لي مكاناً كي استلقي على ظهري فهنا عدد السّجناء لا يتجاوز أَربعين شخْصاً.

سأَلتّه بخوفٍ شديد أَين أنا.

أجاب: (نحنا هون بفرع الموت. بعدين لحالك بتعرف ليش أسمو فرع الموت. الكلام ممنوع منعاً باتا. ريح بدنك عشر دقايق وفوت بسرعة لآخر الزنزانة. هلق بيجي السجان بيعطيك رقم. هدا الرقم بدك تحفظوا بدل أسمك. وممنوع أي حدا يعرف اسمك. هون بينادوك برقمك)

أَرقام! نعم أُصبحنا مجَرّد أَرقام... لَيس لَنا أَسماء، لَيس لَنا أَي قيمة لديهم، وحتّى لم يعد لدينا نحن قيمة لأَنفَسنا.

بعد ما يقارب نصف ساعة دخل السّجان. الكلّ يركض مسرعاً باتجاه الحائط، ركضت بسرعَة معهم من شدّة الخوف.

السّجان: (وينو أخو القحبة، اللي أجا من شوي، رقمك هو 12 وخلي رئيس المهجع يعطيك التعليمات)

أَمسّك بأحد السّجناء وبدأ يضربه بكلّ ما لديه من قوّة ورطم رأسه بالْحائط.

خرج السّجان توجّهت إلى رئيس المهجع للتّعَرف على التّعليمات.

رئيس المهجع: (هون السجان بيدخل فجأَة، ولازم بين ما يفتح الباب ويدخل يكون الكل واقف ودابر وجه على الحيط، وإذا ما لحقت

Digitized by Google

بيخلص عليك بأرضك، بدك تحاول حتّى وانت نايم تخلّي سمعك شغال)

و"رئيس المهجع"، هنا أيضا، هو سجين أيضا ويكون في أغلب الأحيان عيناً للسجان داخل الزنزانة، ويتولّى مهمة توزيع الطّعَم وتنظيم السّجناء داخل الزّنزانة.

سأَلت أحد السّجناء عن مدّة وجوده في هذه الزّنزانة

أجاب: (منذ تسعة أشهر)

هذه هي النّهاية. فرع الموت. هذا هو العَفو الّذي أَصدره سيادته. إنّه ليس عفواً بل أَعفاء من الحياة.

كم كنت أَحلم بأَنّ استلقي على ظهري وأَستغرق في النَوم لساعات لكن ليس في هذا المكان المرعب. يزداد خوفي وفزعي. اجلس دقائق وأَقف لساعات لأكون مستعداً عند دخول السّجان حتَّى لا أبَقي في الصّف الأَخير.

بعد منتصف اللَيل تقريبا يفتح باب الزّنزانة. نسرع باتجاه الحائط. يدخل السجان محضراً معه طبقا من الطَّعام وطلب من أحد السّجناء أَن يتناول الطَّعام كما تأكل الكلاب دون أَن يستخدم يديه. يبكي أحد السّجناء داخل الصّف فيسمع أنينه السّجان يصرخ قائلاً (من عم يشنهق، طلاع لحالك)

يخرج من بيننا رّجل وهو في أوائل العقد الرّابع من العمر.

السجان: (شو يا منتاك، زعلت على رفيقك، قعود كول مع رفيقك الكلب)

Digitized by Google

بقينا ما يقارب السّاعة والنِّصف تقريباً على هذا الحال.

ما هذه الأساليب؟

هل يعرفون حقاً ما مدى تأثيرها علينا؟

هل هم مدرّبون على ذلك؟

هكذا تمرّ الأيّام كأنها أَعوام كأنّ الزّمن توقّف.

الأحلام أَصبحت بسيطة جداً ولكنّها صعبة المنال.

أَحلم أَن أَستحمّ بالْماء السّاخن...

أَحلم أَن أَتناول "فحلا" من البصل..

أُحلم أَن أَتناول طعاما ساخنا..

أَحلَم بكأْسٍ من الشّاي...

لَم أَعد أُحلم بالعودة الى بيتي وأَهليّ فذلك كنت أَظنّه من المستحيلات.

لِلّه الحمد، لم أَطلب للتّحقيق في هذا الفرع.

وبعد خمسة وعشرين يوماً وفي المساء ينادي السّجان برقمي، يكبّلني. يضع العصبة على عيني، ويطلب مني ان أَتبع صوته.

كالعادة تبدأ البطولات؛ بطولات الْجبناء الضّعفاء. وبعد أَن تسلُّوا بنا قَليلاً، طلبوا مني أَنّ اصعد إِلى الْحافلة في المعقّد الخلفي. لا أَدري كم عدد الجلدات الّتي أكلت من ظهري ورأسي. ومن قوَة الجلدات فج رأسي.

Digitized by Google

يصرخ الجلادّ قائلاً: (انتو بتعرفوا أنكن رايحين لتنفيذ حكم الإعدام)

إعدام! لِلّه الحمد وأَخيراً ستنتهي هذه المعاناة، فقد كنت أتمنّى الموت وانتظره.

يطلب منّا الجلاّد أن نشتمّ أَنفسنَا بأقسَى وأَفظع الشّتّائم ونصرخ بأعلى صوت أننا أَبناء عاهرات ولا نعرف آباءنا من هم. لم يكتفوا بجلدنا وشتمَنا بل جعلُونا نشتمّ أَنفسنا، علَى ما يبدو أَنّهم أُبتدعوا هذا الأُسلوب حديثاً، إذ لم نصادفه من قبل.

وصلَنا إلى ساحة الفرع الجديد. كالعادة يستقبلنَا الحرّاس. يتدرّبون بنا ثمّ نساق إلى السّجان. السّجان يتحدّث مع أحد العناصر: (زت هالكلاب بأول مهجع ما بدنا نقعد ندور علين الصبح)

لله الحمد، سينفَّذ حكم الإعدام في الصّباح. يتمزَّق قلبي من البكاء. تستحضر ذاكرتي كلّ صور الحبّ والمعاناة. مضت هذه اللّيلَة كسنوات. عشت فيها صراع الموت والحياة. كم هو مؤلم ذلك الشعور عندما يعلم أحدنا متى سيفارق الحياة. مع كلّ المعاناة يبقى الإنسان معلقاً بالحياة.

في الصّباح ينادي السّجان باسمي. نجتمع في ساحة الفرع. يحدثنا أحدهم قائلاً: (أنتوا أبناء هذا الوطن وكل انسان ممكن يغلط ونحنا بنعرف أنو البعض غرر بهم، راح نحولكن على المحكمة العسكرية)

تشجع أحد الشباب: (سيدي يعني ما في إعدام)

Digitized by Google

أجاب ضاحكاً (اعدام، نحنا ما بنعدم حدا، البلد ما بتقتل ولادها، بيكون حدا من العناصر عم يمزح معكن)

نعم نحْن أَبناء هذا الوطن الَّذي أبدع عناصر مخابراته بقتلنا وتعذيبنا، واعتقلوا نساءنا وأَطْفالنا ودمّروا بيوتنا وسلبوا ذكرياتنا واحلامنا.

ذهبنا إلى المحكمة العسكريّة لا مكان للفرح والأَمل. الخوف يحتلّ قلوبنا.

بقينا في المحكمة العسكريّة حتَّى المساء، ننتظر على أَحرّ من الجمر رؤية القاضي لينصّف الحقّ. لكنّ القاضي لم يكلِّف نفسه بمقابلَة أحد منّا.

أتى أحد العناصر عند المساء قائلاً: (القَاضي عندو ملفات كتير اليوم، لذلك حولكنّ على محكمة الإرهاب. راح ننقلكنّ على فرع الشّرطة العسكريّة. تنتظروا لحتى يطلبكن القَاضي من محكمة الإرهاب.

محكمة الإرهاب!

تبدأ رحلة جديدة في فرع جديد.

طبعا كالعادة عندما وصلنا إلى الفرع الجديد بدأْت حنلَة الاستقبال وبعد ذلك أدخلوني مع خمسة وعشرين شخصاً إلى زنزانة (بعرض مترين وطول ثلاثة أَمتار تقريباً) دخل أحد العناصر إلى الزّنزانة ليخبرنا بالتّعليمات قَائلاً: (انتو هون عنا أمانات لصالح محكمة الإرهاب، أَهم شي الهدوء، ما بدى اسمع صوت)

Digitized by Google

يتردّد على مسامعي اسم محكمة الإرهاب وازداد خوفاً ورعبا.

الطَّعام متوفّر بكثرة لكنّ من شدّة الخوف والقلق لا أحد يتناول الطَّعام. بعد عدّة أيّام دخل علينا أحد الضّباط قائلاً: (انتو ليشم ما عم تاكلوا. خبروني العناصر الاكل عم يرجع ما ناقص شي)

أجاب أحدنا: (سيدي مشان الله، والله انا مو عامل شي وحولوني على محكمة الإرهاب)

الضابط: (انتوا خايفين من محكمة الإرهاب، لا تخافوا القاضي بمحكمة الإرهاب كتير محترم، وأي شخص ما عليه دليل بيطلع من المحكمة. لذلك ريحو بالكن، وكلوا مشان ما ترجعوا لعند اهلكن هياكل عظمية. منظركن بيخوف. لا تخافوا. وإذا تحتاجوا شي، خبروا العناصر وانا بمر عليكن)

أوّل مرّة أَستمع إلى ضابط مخابرات يتحدّث بهذه الطَّريقَة وهذا الأُسلوب، أدخل إلى قَلوبنا بعضا من السّكينة.

عظامي تؤلِمنَّي كثيراً من الجلوس على الأرض منذ دخولي المعتقل. كان البلاط يأْكل من جسدي وأحس بأَنَّه جزءاً مني.

وبعد مرور شهر تقريباً وفي الْمساء، يدخل علّينا أَحدّ العناصر قائلاً: (راح تنتقلوا على زنزانة أكبر)

الزّنزانة الجديدة كبيرة جداً (بطول ستَّة أَمتار وعرض أَربعة أَمتار تقريباً). لله الحمد، قد حلَّت مشكَّلَة المكان، وبدأْت مشكَّلَة جديدة أُقسى وأُصعب. مشكَّلَة البرد القَاتل. نحن شبه عرَاة، والثَّلج يتساقط في الخارج. نستطيع أَن نراقب الأَجواء في الخارج من خلال نافذة

Digitized by Google

كبير في أعلى الغرفة. الأرض باردة جداً. لَم يستطع أحد الجلوس. كنَّا نرتجف من شدَّة الْبرد. اتفقنا ان نقرع الباب ونطالب بالعودة إلَى الزّنزانة القَديمة، فقد اِعتادت أَجسادنَا على الْحرّ الشَّديد في تلْك الزِّنزانة الْمغلقة والَّتي كانت بالْكاد تتسعنَا فيشتدّ الحرّ من أَنفاسنا، أُخبرنا السّجان بأَنّنا نريد العودة إلى الزِّنزانة القديمة.

السجان: (نحنا هم نلعب معكن، فوق ما جبناكن على غرفة كبيرة، راح جبلكن حرامات عسكرية مدوها بالأرض)

أَحضر لنا تسع أَغطية عسكريّة، تجمعنا في زاوية الْغرفة لكن دون جدوى، الاغطية لا تكفي فهي صغيرَة الحجم.

اِتَّفقنا أَن نمدّ الأَغطية على الأرض حتَّى نستطيع الجلوس، ونغلق النَّافذة بأحد الأَغطية.

من شدّة البرد لم نستطع النَّوم. أَحاول التَّجوّل في أَرجاء الْغرفة حتَّى أَشعر بقليل من الدّفْء. تعبت بسرعة من الْمشي. وبعد منتصف اللَّيْل تقريباً غلبني النُّعاس. واستيقَظت بعد ما يقارب ساعة ونصف وقد تبوَّلت على نفسي من شدّة البرْد.

وفي الصَّباح طلبنا من السّجان مقابلة الضَّابط. وبعد ما يقارب نصف ساعة جاء الضّابط، وطلبنا منه أَغطِية كافية للْجميع. لِلَّه الحمد، أَستجاب لنَا. وقَد علمت فيما بعد أَنّ ذاك الضَّابط من مدينة دوما ولأَنَّه كان يعامل الْمساجين بشيء من الرَّحمة تمّ اِعتقاله وتصفيته رحمه الله.

Digitized by Google

وفي صباح اليوم الثّاني والخمسون ينادي السّجان بإسمي للذّهاب إلَى المحكمة.

تمنَّيت ان يكون هذا يوم الْخلاص، فَلا يوجد دليل ضدِّي. أَخاف ان أَتفاءل، حتَّى لا تكون الصّدمة قَاسية. وصلَنا إلَى الْمحكمة. دخلت مكتب القاضي.

الْقَاضي: (اسمك، تاريخ اعتقالك، انت معترف أنك مسلح ومعترف بتمويل الارهابين بالمال والسلاح ومعترف بتخريب الممتلكات العامة)

أجبته ودموعي تسيل: سيدي أَنَا لم أَعترف بهذه الأَشياء، وانا لَم أَفعل ذلك.

الْقَاضي: (لا تحاول تنكر، تأكدنا من وسائلنا الخاصة أنك متورط)

أجبته: (سيدي أنا طالب جامعي وتم اعتقالي من جامعتي، وانا لا اجيد استخدام السلاح، ولا أملك المال أصلاً حتى أمول به المسلحين)

القاضي: (كلو بيقول نفس الكلام، مو عيب عليك انت طالب جامعة تتورط مع هيك ناس. طلاع لبرة انت موقوف)

هل نحن في محكمة أَم في أفرع المخابرات؟ لم أَكن اعلم أَنّ الْقاضي في بلدي مجرم أيضاً. وداعاً للْحياة. وداعاً لكلّ الاحلام.

بقينا في المحكمة حتِّي السَّاعَة الرّابعة، وبعد ذلك أَعادونا الى فَرع الشُّرطة الْعسكريَّة. وفي صباح الْيوم التَّالي نقلونا إلى السِّجن الْمركزيّ. أَدخلونا إلى الْحمامات وطلبوا منّا أَن نخلع جميع ملابسنا ونرميها حتَّى لا ينتقل الْقَمل إلى داخل السِّجن.

Digitized by Google

أُعْطوني غطاءً عسكريا لأَستر به نفسي. دخلْت إلى الغرفة. استقبلَني رئيس الغرفَة وطلب من أحد السّجناء أَن يبحث لي عن بعض الْملابس لأَستر نفسي بها.

رئيس الغرفة: (الحمد لله على سلامتك، انت هون بأمان، المهم بعد عن المشاكل، وبعد ساعة بتجي الحصالة وبتتصل مع أهلك مشان يزوروك)

أَهليّ.. أَبي. أُمّي.. إخوتي.. سأَلْتقي بهم. لكن كيف سأَتَّصل بهم لقد نسيت رقم هاتفنا وأَرقَام هواتفهم النَّقالَة.

جلست عند باب الْغرفة محاولاً استدعاء ذاكرتي، لكن دون جدوى. جلس بجانبي رجل في أوائل الْعقد الْخامس من الْعمر قائلاً: (الحمد لله على سلامتك، انت أكيد من محكمة الإرهاب، مبين من جسمك ولون وجهك، لا تخاف يا ابني وأنا كمان كنت بالفرع ومن شهرين وصلت للسجن المركزي. شو رأيك بسندويشة وكاسة شاي)

أجبته بدهشة: هل تستطيعون شرب الشاي هنا؟ لا لا أريد، يجب أن أتذكر رقم هاتفنا.

أجاب مبتسماً: (أي عنا شاي وقهوة، طيب شو رأيك بفنجان قهوة، وأنا راح ساعدك لتحل مشكلة الاتصال)

رائحة القهوة تنعش القلب بعد هذا الفراق.

أَتَت الحصَّالَة إلى غرفَتنا وأَنَا لم أَتَذكّر رقم الْهاتف بعد. تقدّم العمّ أَبو فيصل قائلاً: (امسك سماعة الهاتف، وركز النظر في لوحة الأرقام وحاول التذكر)

Digitized by Google

كانت فكرة مذهلة طلبت رقم الْمنزل، ومع رنَّة الهاتف الأولى، بدأْت دقَّات قَلْبي تتسارع ودموعي تسيل، أجابت والدتي: (الو. الو. مين)

لَم أَستطع أَنّ انطق بحرف واحد.

تمكِّنت والدتي أَنّ تميّز صوت بكائي وبدأْت تصرخ وتبكي (يا ابني، انت عايش، الو، مشان الله رد، أنت وين يا مو، شو صار فيك)

سقطت سمّاعة الْهاتف من يدي، أَمسك العمّ أَبو فيصل سمّاعة الهاتف وأُخبر والدتي عن مكان وجودي وأَنَّها تستطيع أَنّ تأْتِي لزيارتي غداً، أَصرت والدتي على سماع صوتي، وضع العمّ أَبو فيصل السّماعة على أُذني، قلت لها (أَنا بخير يا امي).

كانت هذه اللَّيلة أَطول ليلة في حيَّاتي. جاء الشُّرطي في تمام السَّاعة الْعاشرة صباحاً وأُعطاني "كرَّت" الزيارة. ركضت مسرعاً، تعثَّرت وسقطت أرْضاً عدَّة مرَّات.

غرفة الزِّيارات كبيرة جداً في منتصفها شبابيك كبيرة. لا يمكنني أَن أَرتمي في أَحضان والدتي. أَبحث عنهم في الطَّرف الآخر. وجدتهم. توجِّهت إِليهم. تحاول والدتي الْبدء بالْحديث رغم الآلم والْبكاء (الحمد لله يا ابني، نحنا كلياتنا بخير، طمني عنك أن شاء الله ماعم يوجعك شي، لا تخاف ما راح خليك هون ولا ساعة حتى ولو بعنا البيت)

يقطع حديث والدتي غلام قائلاً: (كيفك، والله اشتقنالك)

Digitized by Google

والدي: (لا تخاف، خليك رجال، أن شاء الله خلال أسبوع بتطلع من هون وكل شي بينحل)

أُحاول أَن أَبوح لهم بشوقي وحنيني ومعاناتي. أُريد ان أَحدثهم بكلّ ما حصل لكي ارتاح قَليلاً، لكنِّي غير قادر على التَّحدُث فقلْبي يتمزَّق. أَحاول التَّوقّف عن الْبكاء لكنّ عندما أَرى دموع أَبي وامي يزداد الْمي.

يحاول الْغلام مجدداً التَّحدُث معي قائلاً: (انا كنت ادعيلك على طول)

أحدث نفسي من هذا الْغلام!

لاحظت والدتي أَنّي لم أَتَعرّف على أَخي الصَّغير بعد فحاولْت تدارك الْموقف وقَالت: (شوف، أَخوكّ محمد، متغير كتير وشادد طول ما شاء الله)

هذا أَخي!... نعم هذا أَخي! لقد نسيت صورته وملامح وجهه، كانت صدمة عدم التَّعرّف على أَخي صدمة مفيدة لفّك عقدة لسانيّ.

توجّهت بلهفة للْحديث معه: كيف حالك يا أَخي، وأَنا اشتقت إليك كثيراً، لا تخافي يا أُمِّي أَنَا بخير وصحَّة جيِّدة ولِلَّه الحمد قدِّر الله وما شاء فعلّ.

تحدِّثنا كثيراً عن أَحوال الأهل والأصدقاء. مرّ الوقت سريعاً. ودعتني والدتي ودموعها لم تجف بعد. طلب مني والدي أَن أَكون صبورا.

لِلَّه الْحمد، الأهل كلُّهم بخير. لا أُريد شيئاً من الحياة.

Digitized by Google

تبدأ في السِّجن المركزيّ معاناة من نوع جديد. أَغلب السّجناء لا يدرون ماذا يحدث في الْخارج. يحبّون الْقَائد ونحن بنظرهم عملاء وخونة.

في السِّجن الْمركزيّ يجب أَن تحافظ على مالك وملابسك وحتَّى حذائك حتَّى لا يُسرق. ولسوء الحظ تمّ فرزي على جناح النَّصب والاحتيال.

أَصبح العمّ أَبو فيصل صديقي نتحدَّث معاً، نأْكل معاً. في الشَّهر الأَوّل كنت في قمَّة السّعادة وكأَنّي في جنَّة من جنّان الأرض. اتواصل مع الأهل كلّ يومين مدّة ثلاثة دقائق وكوِّنت صداقَات مع السّجناء المحوِّلين من محكمة الإرهاب.

في الشَّهر الثّاني بدأْت أَدرّك أَنّي في السِّجن ولست في جنَّة. يحاول والدي بكافَّة الوسائل الْوصول الى مفتاح القَاضي. بدأْت أَشعر بالضّيق والملل، أَمضي السَّاعات غارقاً في التَّفكير.

وبعد ستَّة أُشهر خرج الْعمّ أَبو فيصل وصديقي المقَرب أَبو تيم. كنت فرحاً لخروجهم وخلاصهم ولكنّي حزين جداً لأنّي بقيت وحيداً.

يأْتي أهلي كلّ أُسبوعين لزيارتي. أَغلب حديثنا عن المحامين. كنت قدّ استعدَّت ولله الحمد قليلاً من عافيتي، لكن بعد خروج العمّ أَبو فيصل وصديقي أَبو تيم خسرت شهيّتي للطَّعام. أَدخن بشراهة. الوحدة قاتلة وصعبة جداً داخل السّجن.

Digitized by Google

كانت علاقتي مع رئيس الغرفَة جيدة. لاحظ أن حالتي تزداد سوءاً، فأُصر أَن أَعمل على تنظيم الدَّور على الحصالة. ساعدني ذلك على أضاعة بعض الوقت لكنَّه زاد من الآلم والمعاناة.

وبعد عدّة أيّام يدخل إلى غرفتنا سجين جديد وجاء دوره ليتحدّث مع عائلته ليعلمهم بوصوله إلى السِّجن المركزيّ، وكنت بجانبه يداه ترتجفانّ ويتصبَّب عرقاً، أَجاب أحدهم على اتصاله (الو. الو)

الشّاب محمود: (الو، انا محمود، ما عرفتيني يا أختي، وين أمي)

تجيبه الفتاة: (انت كذاب، أخي محمود مات، مو حرام عليك تلعب بمشاعر الناس)

وأَنهت المكالمة. وهو يصرخ أَنا ميت. يا جماعة أَنا ميت.

أعادّ الاتصال وهو يبكي: (مشان الله لا تسكري، والله أنا محمود)

الفتاة: (كذاب هذا ما صوت أخي محمود)

محمود: (والله أنا محمود، مشان الله عطيني حكي أمي / الو...يامو. يامو) وسقط أرضاً.

أَمسك أَحدّ الشَّباب سمَّاعة الْهاتف (يا خالة لا تبكي، طولي بالك، هدا الشب اسمو محمود وهو بخير وفيكن تجوا بكرا وتشوفوا)

وفي صباح اليوم التّالي يخرج محمود الى الزِّيارة. محمود الْميت الحيّ ويجتمع مع عائلَته بعد غياب عامين ونصفّ.

أَصبحت أَنا ومحمود أصدقاء، وقَصّ لي معاناته في الافرع الأُمنيّة قَائلاً: (تخيل التهمة اللي اتهموني فيها وظلوا يعذبوني لحتى ألفت قصة تزبط مع التهمة. بحياتك سمعت واحد متهم بالتفكير

Digitized by Google

بالانشقاق. يا ريت التخطيط للانشقاق. والله ما كنت عم فكر بالموضوع أبداً. وقت بلشت الثورة كان باقيلي شهرين وبنهي الخدمة وكنت حاول دائماً بعد عن الناس، وآخر شهر بالخدمة قام واحد ابن...، كتب فيني تقرير أنو عم فكر بالانشقاق. وإذا أنا فعلاً كنت عم فكر بالانشقاق بيعملوا فيني كل هدا الشي)

نعم، نعم حتَّى التَّفكير والأحلام نعاقب عليها، ومن شدّة ذكاء رجّال الأَمن والمخبرين في بلادي من نظرة واحدة يعرّفون بماذا تفكُّر.

يتابع محمود الْكلام: (الشغلة التانية اللي لهلق ماعم أقدر أفهمها، كيف وليش سلموا هاويتي ودفتر العسكرية لأهلي من سنة ونص وخبروهن إني ميت)

لله الحمد معاناتي لا شيء يذكر أَمام معاناة محمود الَّذي أَمضى عامين ونصف في الأفرع الأُمنيّة. وأمام معاناة من هم منذ بداية الثّورة إلى الآن في مقَابر الأفرع الأُمنيّة تحت قاع الأرض.

وبعد فترة وجيزة دخل عليّنا معتقَل جديد في أواخر العقد الثّالث من العمر. حاولْنا التَّحدث معه لكنَّه لا يستجيب. حاولْنا أَجبّاره على تناول الطَّعام لكن دون جدوى.

طلب منه رئيس الْغرفة بعد يومين أَن يتناول الطَّعام تحت الضّغط والتَّهديد. حاولْت التَّقرب منه والتَّودد إليه. اجلس أَمامه ساعات وأَنَا احدثه لكنَّه لم ينطق بحرف واحد. بعد جهد جهيد وبعد أُسبوعين في فترة التَّنفس، توسّلت إليه أَن يتكلَّم لي عما يشغل باله. تجاوب معي

Digitized by Google

وليته لم يتجاوب ولم يفصح لي عن معاناته. أَعادتني معاناته إلى أيّام اعتقالِي الأولى، ولم تعد تفارقنَّي أَصوات النِّساء الَّتي كانت تعذّب وتستغيث.

حدثني قائلاً: (مرتي، وابني، شرفي، راح موت بس أعرف شو صار فيهن)

عاد إلى صمته لدقائق وتابع حديثه وهو يرتجف ويتصبَّب عرقاً: (دخلو علينا مداهمة بنص الليل. أخدوني أنا ومرتي وابني الوحيد. طلبوني تاني يوم على التحقيق، لما دخلت لقيتن عم يعذبوا ابني ويضربوا، مشان اعترف إني قائد مجموعة، قلتلوا ياسيدي تروك الولد وبعترف بكل شي بدك ياه. طبقت قصة واعترفت فيها. تركوا الولد وطلع من الغرفة وهو عم يصرخ يا بابا يا بابا، الله وكيلك قلبي تقطع. الحمد لله اقتنع المحقق بالقصة. ورجعوني على المنفردة، وانا أبكي وأضرب راسي بالحيط، نتفت شعري مشان مافكر، وياريت وقفت هون)

عاد إلى صمته، حاولت إخفاء دموعي عنه، وطلبت منه أَن يتابع حديثه ويتَّصل مع أحد من عائلته ويستفسر عن حال زوجته وابنه، لكنَّه رفض ذلك. تركته وذهبت إلى الغرفة وانا منفصل تماماً عن الواقع. بقيت مصدوماً لمدَّة يومين ولَم أُكلّم أحدا.

لكن يجب أَن أُساعد أَبا محمّد فهو تحدّث معي في المرّة الأولَى. يجب أَلّا أتركه وحيداً. توجِّهت إليه وطلبت منه أَن نخرج في فترة التَّنفس إلى ساحة الغسيل فهناك لا يوجد إلّا الْقليل من السّجناء.

Digitized by Google

حين خرجنا خاطبته قائلاً: أَستحلفك بالله أَن تتَّصل الْيوم بأحد من العائلة وتسَالهم عن زوجتك وابنك أُجَاب: (والله كل يوم بقل بدي أتصل وأسأل بس بخاف. خايف يقولوا لسا ما بينوا. خليني عايش على أمل. بعدين والله ما إلى عين التقي معاهن)

أَنَا: أَستحلفك بالله أَن تحدثني عمّا يدور في ذهنك، ولماذا تلَقّي اللَّوم علَى نفسك فيما حصل. هذا ليس ذنبك.

انفجر بالْبكاء وجلَس ارضاً قَائلاً: (انت مانك عرفان شي، أنا كيف بدي شوفن وحط عيني بعينن، ولاد الحرام بعد التحقيق بيومين طلبوني مرة تانيه، دخلت الغرفة لقيتهم جايبين مرتي وعم يعذبوها لأنها رضيانة تعيش مع ارهابي وقائد مجموعة، لما شفت ها لشوفة دخت ووقعت بالأرض، كبوا علي مي وصحوني، انا ما قدرت دافع عن شرفي وابني)

لم أَتفوّه بكلمةٍ واحدة، النَّار تشتعل في صدري، ننظر إِلى السَّماء ونبكي. الأَبواب تقرع يجب أَن نعود إِلى الغرفة.

في صباح الْيوم التَّالي، الْحصَّالة في غرفتنا. توجّهت مسرعاً امسكت أبا محمد من يده بقوّة وطلبت منه ان يتَّصل بعائلته. رفض ذلك.

صرخت في وجهه: أعطني رقم الهاتف.

لِلَّه الْحمد استجاب لطلبي وأَخرج من جيبه دفتر الْهواتف الصَّغير وأُشارّ لي بأُصبعه على رقْم الْهاتف.

Digitized by Google

تمكّنت من التّواصل مع عائلته ولله الحمد زوجته وابنه بخير وسيأتون لزيارته غداً. أرتمى أبو محمّد أرضاً وسجد سجدةً طويلة.

تبادلْت أنا وأبو محمّد الأدوار. أمضي أغلب وقتي وحيداً حزيناً. يذوب عقلي وجسديّ شيئاً فشيئاً. انتظر حتّى ينام الْجميع لأبكي دون أن يلاحظ أحد. وعندما يستيقظون في الصّباح أتظاهر بأني نائم حتّى لا يقترب مني أحدّ.

وما زاد الطّين بلّة دخول الشّاب خالد إلى غرفتنا؛ خالد الّذي أُعتقل عندما كان عمره ستّة عشر عاماً عند عودته من المدرسَة بحجّة تشابه اِسْمه مع أحد الْمطلوبين والتّأكد من بعض المعلومات علَى أحد الحواجز الأُمنِيَة، ولكنّه وصل إلى السِّجن المركزي بعد رحلَة دامت خمسة وعشرين شهراً في الافرع الْأمنيّة وهو متّهم بالاغتصاب والْقتل.

خالد الشّاب الرّقيق النّاعم النّحيل، متّهم بالْاغتصاب والْقتل، وبحسب ما قص لَنا أنّه حين اعتقَل لم يكُن يعرف ما معنى الإغتصاب.

والفاجعة الأكبر اِنْه بعد أن أمضى في غرفتنا عشرة أيّام جاءت الأوامر بنقْله إلى سجن صيدنايا العسكري وهو سجن له تاريخ عريق في الإجرام، وإلى هذه اللّحظة لم تتمكّن والدته وبالرَّغم من كلّ الْمحاولات من معرفَة مصير ابنها أو زيارته.

Digitized by Google

سجن صيدنايا العسكري هو أُفظع سجن في العالَم ولم يتمكَّن أُحْد من معْرفَة ما يحدث بِداخله وكَم عدد المعتقلين فيه.

بعد أَنّ أَمضيت في السِّجن الْمركزيّ عشرة أشهر تمكن أحد المحامين من الحصول على موافقة القاضي لإخلاء سبيلي مقَابل كفالة ماليَّة.

وبدأ الْخوف يزاحم الْفرح. فبعد وصول أخلاء السَّبيل، يجب أَن تتأَكَّد إدارة السِّجن أَنّ السّجين الَّذي يخلي سبيله ليس موقوفا بجرم آخرّ ولا يوجد أَيّ تقرير أَمني بحقِّه، وإِنّ وجد فسيبقي معتقلاً وسيبدأ المشوار من الخطْوة الأولى، وهذا يتمّ ليلاً ليصل الْقَرار في الصَّباح. مرّت السّاعات كأَنّها أيّام. وفي الصَّباح أَخبرني الشُّرطيّ أَن أُسمِي غير مطلوب أَبداً.

راودتني أَفكار غريبة جعلتني أَضحك تارة وأَبكي تارة أُخرى... لست مطلوبا لأي جهة أُمنيَّة... هذا يعني أَنّ ورقَة (تقرير) دمِّرت حيّاتي. ورقَّة قد كتبت من شخص لا يجيد إلّا البغض والحقد.

تجاهلْت هذا الشُّعور السيء ونظرت إلى الأمام... الحرِّية... الحرِّية.

لم أَنم في تلك اللَّيلة وعيني ترمق أصدقائي المساجين الأبرياء بشفقة ورجاء من الله أَن يفرج عنهم.

خرجت وكم كانت جميلة ومؤثرة لحظات اللّقاء مع الأهل ومع من تبقى على قيد الْحياة من الأصدقاء بعد عام ونصفّ من الغيَاب.

Digitized by Google

توافَد الأصدقاء والأقارب للتَّهنئة طيلة الأُسبوع الأوّل بعد خروجي من السِّجن. أَسهر مع أصدقائي حتَّى ساعات متأَخّرة وَاستيقَظ باكراً لمراقبة شروق الشَّمس.

بعد أَنّ مضى الأُسبوع الأَوَل عادت الْمعاناة من جديد وبدأ الخوف يسيطر وتقتحمني الذّكريات الْمؤلمة المرعبة.

أَخاف من الظَّلام..

أخاف من صوتٍ قوِي يخرج من التِّلفاز.

أَخاف الْخروج وحيداً. غير قادر على النوم.

بدأْت أَحبّ الْعزلَة. أُفضل الصَّمت. أَغضب لأتفه الأَسباب. النَّار تشتعل في قَلْبي غلاً وحقداً.

طلبت من والدي أَن يأْذن لي بالسَّفر، وافَق والدي بعد جهد جهيد، لكنَّه اشترط أَن أَتمّ درَّاستي الْجامعيَّة وأَحصل على شهادة التَّخرّج قبل سفري لتكون عوناً لي في مواجهة مصاعب الْحياة.

رفضت ذلك بشدّة. فأَنا أَشعر بالرّعب عندما أَتَذكر جامعتي. حاول والدي أَقناعي وكان كلامه مقنعاً، وكان قَد تبقّي ما يقارب الشَّهر والنِّصف لبدء الامتحانات .

حاولْت الْاستعداد للْامتحانات بصعوبة بالغة جداً ليس لدى قدرة على الْحفظ والتَّركيز. في طريقي إِلَى الْجامعة أَشعر بخوف شديد، العرق يتصبَّب مني.

Digitized by Google

وصلْت عند الْباب الرّئيسيّ. أوقفني أحد عناصر الأمن الموجودين وطلب مني الْبطاقَة الْجامعيّة وطلب مني الانتظار للتَّأكد من بعض الْمعلومات بحجّة أنَّه لم يرني من قبل.

عاد بعد عشرين دقيقة قائلاً: (يا.. أنت شو جابك لهون، لسا إلك عين ترجع على الجامعة، أنت مطلوب للفرع)

أجبته: سيّدي أرجوك، انا أتيت لتقديم الامتحانات فقطّ ولا أريد شيئاً آخر، أرجوك دعّني أذهب.

وبعد عدّة محاولات وتدخل أحد الأشخاص سمح لي بالذَّهاب قائلاً: (الجامعة محرمة على امثالك، هالمرة راح خليك تروح، بس مرة تانية على الفرع مباشرة)

ركضت مسرعاً. أين أنت يا والدي؟

لقد مُنعت من دخول جامعتي. أرجوك لا أستطع الْبقاء في وطنيّ...

أمضيت في سجني الجديد فِي بيتي ما يقارب عشرة أُشهر وأنا أبحث عن طريقَة آمنة لمغادرة البلاد.

انتقَلت الى العيش في لبنان، وبحثت كثيراً في جامعات لبنان عن فرصة أُتابع بها درّاستي وأحصل على شهادة التَّخرّج، لكنّ.. لا يوجد فَرع مماثل ويتوجَّب عليّ أن أبدأ درّاستي الجامعيَّة من السَّنة الأولى، طريق طويل جداً ويحتاج الكثير.

أصبح الحصول على شهادة التَّخرّج حلماً بعيداً جداً بعد أنّ كان على بعد أميال.

Digitized by Google

قبل أَن يسرقه سالبو الذكريات والأحلام... سالبو الحياة..

حتَّى الآن لم يفارقني الخوف والذُّكريات الْمؤلمة الَّتي صمّمت لتبقي الناجي من عنف الاعتقال سجيناً لها.

مع كلّ صوت قوَّي أَعود إلى زنزانتي.

مع كلّ صوت بكاء طفل صغير اعود إلى منفردتي.

ومع مرور سيّارة أمنية تزداد دقَّات قلْبي واتصبب عرقاً وأحاول الهرب بسرعة.

والأقسى من ذلك كلُّه صرخات النِّساء الَّتي تتردَّد على مسامعي في كلّ ليلة وتعيدني إلَى زاوية الحمام.

أُعاني واتصارع مع الآلام الْجسديّة والنَّفسيّة الَّتي بحاجة إِلى سنوات طويلة من العلاج الطِّبّي والنَّفسيّ للتَّخلّص من رواسب فترة الاعتقال. ومع الأَسف لا توجد أَي جهة تعمل علَى علاج الناجين من عنف الاعتقال نفسياً وجسدياً.

لم أَكن أَظنّ يوماً أَنّ الأنسان يختصر برقم....

لم أَكن أَظنّ يوماً أَنّ الحقد والبغض يصل لدرجة الْقتل..

لم أَكن أَظنّ يوماً أَنّ بلدي كلُّه يختصر بتقرير، يكتبه حاقد، كاره أو جبان.

لم أكن أظنّ يوما أن ثمرة العذاب يمكن أن تُكتب بكلمات على قصّاصة ورق......

بقَلم الشّهيد الحيّ.

Digitized by Google

Digitized by Google

Piece of Paper

from inside Syrian prisons

by: Mohamad Abo Ahmad

قصاصة ورق

هذا الكتاب، شهادة حية لواحد من ضحايا
التعسف والوحشية التي تمارس في
سجون سوريا.
إنه سجل شديد الدقة لواقع يعرفه
الضحايا كما يعرفه الجلادون أنفسهم،
الذين سوف يرون، هنا، صورة لبعض ما
يفعلون بأبناء وطنهم.

E-KutUb

آلاف الكتب، لكل وقت ومن أي مكان

Digitized by Google